الإشراف في منازل الأشراف

«لابن ابي الدنيا»

التعريف بالمؤلف وتأليفه

هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ابو بكر القرشي (وفي رواية عبيد الله بدلاً من عبد الله والقشيري بدلاً من القرشي) وهو قرشي من ولاء مولى بني امية المعروف بابن ابي الدنيا «صاحب الكتب المصنفة في الزهد والرقائق» «وهو أحد الثقات المصنفين للاخبار والسير وله كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب» عدّ منها صاحب الفهرست ثلاثة وثلاثين كتاباً وقال انه كان زاهداً ورعاً. ولد في بغداد سنة ٢٠٨ وتوفي سنة ٢٨١ هـ وأخذ العلم عن جماعة من علماء عصره وروى عنه جماعة وقالوا انه صدوق. ولما مات قال اسماعيل بن اسحاق القاضي: رحم الله ابا بكر مات معه علم كثير.

وتولى ابن ابي الدنيا تربية المعتضد وابنه المكتفي من خلفاء بني العباس فكان مؤدبهما وكتب اليهما:

ان حق التأديب حق الأبوة ... عند أهل الحجا واهل المروة
وأحق الأنام ان يعرفوا ذا ... ك ويرعوه أهل بيت النبوة

وكان اذا جالس احداً ان شاء أضحكه وان شاء أبكاه. قال: دخل المكتفي على الموفق ولوحه بيده. فقال: مالك لوحك بيدك قال مات غلامي واستراح من الكتاب. قال ليس هذا من كلامك، هذا كان الرشيد أمر ان تعرض عليه ألواح أولاده في كل يوم اثنين وخميس، فعرضت عليه فقال لابنه: مالغلامك ليس لوحك معه. قال: مات واستراح من الكتاب، قال: وكأن الموت أسهل عليك من الكتاب. قال: نعم.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال : فدع الكتاب . قال : ثم جئته فقال لي : كيف محبتك لمؤدبك . قال : كيف لا أحبه وهو اول من فتق لساني بذكر الله ، وهو مع ذاك ان شئت أضحكك واذا شئت أبكاك قال : ياراشد أحضرني هذا . قال : فاحضرت فقربت قريباً من سريره ، وابتدأت اخبار الخلفاء ومواعظهم فبكى بكاءً شديداً . قال : فجاءني راشد فقال لي : كم تبكي الامير . فقال : قطع الله يدك ما لك وله يا راشد ، تنح عنه . قال : وابتدأت فقرأت عليه نوادر الاعراب . قال : فضحك ضحكاً كثيراً ، ثم قال شهرتني شهرتني ، وذكر الخبر بطوله . قال ابو ذر القاسم بن داود الكاتب أحد من أخذ عن ابن ابي الدنيا لاحمد بن محمد بن الفرات : أجرى له خمسة عشر ديناراً في كل شهر . قال ابو ذر : فكنت أقبضها لابن ابي الدنيا الى ان مات .

وقال ابن ابي الدنيا : كنت أؤدب المكتفي فأقرأته يوماً كتاب الفصيح فأخطأ ، فقرصت خدّه قرصة شديدة وانصرفت ، فلحقني رشيد الخادم فقال : يقال لك ليس من التأديب سماع المكروه ، فقال : سبحان الله ، أنا لا أسمع المكروه غلامي ولا أمتي ، قال : فخرج اليّ ومعه كاغد وقال : يقال لك صدقت يا أبابكر ، واذا كان يوم السبت تجيء على عادتك ، فلما كان يوم السبت جئت فقلت : أيها الأمير تقول عني ما لم أقل . قال : نعم يامؤدبي من فعل ما لم يحب قيل فيه ما لم يكن .

اما الكتاب فهو من مخطوطات دار الكتب المصرية بالقاهرة أُخذ بالتصوير ودخل في خزانة المجمع العلمي العربي وهو في ١٩٣ صفحة منصفة القطع كُتب بخط جميل يظن انه من القرن الثامن وقد كتب في أوله : « كتاب الإشراف في منازل الأشراف تأليف ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي . ابن ابي الدنيا رواية ابي الحسن احمد بن محمد بن عمر الاصفهاني . »

نماذج من الكتاب

(١) حدثني ابي قال حدثني نصر بن باب قال : أخبرنا داود بن ابي الهند عن الشعبي قال : كتب عمر بن الخطاب الى المغيرة بن شعبة ان استنشد من قبلك من الشعراء ماقالوا في الجاهلية والاسلام ، فأرسل الى الأغلب العجلي فقال أنشدني فقال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أرجزاً تريد أم قصيدا فقد سألت هيناً موجودا

قال ثم أرسل الى لبيد بن ربيعة فقال : أنشدني فقال : ان شئت أنشدتك مما قد عفي عنه من شعر الجاهلية قال : لا ، أنشدني ماقلتَ في الاسلام ، فانطلق الى أديم فكتب فيه سورة البقرة فقال : أبدلني الله مكان الشعر هذا . قال : فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب . فكتب اليه عمر : انه لم يعرف اخد من الشعراء حق الاسلام الا لبيد بن ربيعة ، فانقص من عطاء الأغلب خمس مائة واجعلها في عطاء لبيد . قال : فركب اليه الأغلب فقال تنقص عطائي من ان أطعتك قال : فرد الخمس مائة وأقر في عطاء لبيد الخمس مائة . (ص ٧—٨)

(٢) أخبرني العباس بن هشام بن محمد عن أبيه قال : أخبرني مولى لزياد بن ابي سفيان قال : خرج ابو الاسود الدئلي حاجاً بامرأته وكانت جميلة ، فبينا هي تطوف بالبيت اذ عرض لها عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي فغازلها . فاتت ابا الاسود فأعلمته فأتاه ابو الاسود فكلمه فقال عمر : مافعلت ، فلما عادت الى المسجد عاد فكلمها فأخبرت أبا الاسود فأتاه وهو في المسجد مع قومه فقال :

انت الفتى كل الفتى لولا خلائق اربع

فسكت عمر ولم يقل شيئاً . فقل ابو الاسود لامرأته : انه ليس بعائدٍ فلما خرجت الى المسجد كلها ايضاً فأخبرت ابا الاسود فأتاه وهو في المسجد فقال :

واني ليثنيني عن الجهل والخنى وعن شتم اقوام خلائق اربع
حياء واسلام وبُقيا(؟) وانني كريم ومثلي قد يضر وينفع
فشتان ما بيني وبينك انني على كل حال استقيم وتظلع

فقال له عمر : لا والله يا عم لا أعرض لهذا بعد هذا اليوم ابداً بشيءٍ تكرهه ففعل . (ص ١١—١٢)

(٣) وأخبرني العباس بن هشام عن ابيه عن خالد بن سعيد الأُموي عن خالد بن عُمير بن الحباب قال : كنا مع مسلمة بن عبد الملك في غزوة القسطنطينية فخرج الينا رجل من الروم فدعا الى المبارزة ، فخرجت اليه فاقتتلنا فسقط كل واحد منا عن فرسه ، فأخذته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أسيراً فأتيت به مسلمة فساءله . قال : وكان رجلاً جسيماً جميلاً فأراد ان يبعث به الى هشام بن عبد الملك وهو يومئذ بحرّان فقلت : أصلح الله الامير ، ان رأيت ان توليني الوفادة به اليه قال : انك لأحقّ الناس بذلك فبعث معي فكلمناه وساءلناه فجعل لا يكلمنا حتى انتهينا الى موضع فقال ما يقال لهذا الموضع قال : فاذا هو فصيح اللسان . قلنا هذا الجريش وتل محرا فقال :

ثوى بين الجريش وتل محرا فوارس من نمارة غير ميل
فلا جزعين ان ضراء نابت ولا فرحين بالخير القليل

قال : ثم سكت فكلمناه وقلنا من أنت فلم يرد علينا شيئاً فلما انتهينا الى الرُّها قال : دعوني فلاصلي في بيعتها قلنا : دونك . قال : فصلى وكل ذلك لا يكلمنا . فلما انتهينا الى حران قال : اي مدينة هذه قلنا : هذه مدينة حران . قال : اما انها اول مدينة بنيت بعد بابل ثم سكت فأقبلنا عليه فقلنا كلمنا ماحالك ، فأبى ان يكلمنا فلما دخلنا حران قال : دعوني حتى استحم في حمامها ، فاطّلى . ثم خرج كأنه برطيل فضة بياضاً وعظماً قال : فأدخلته على هشام وأخبرته كيف كان امره وماجعل يسألنا عنه فقال له هشام : ممن انت قال : انا رجل من إياد ثم احد بني حُذافة فقال : ويحك أراك رجلاً عربياً لك جمال وفصاحة فاسلم تحقن دمك ونسني عطاءك قال : ان لي بالروم اولاداً قال : وتفك ولدك قال : وما كنت لارجع عن ديني ، فأقبل به هشام وأدبر فأبى ، فقال : دونك فاضرب عنقه . قال فضربت عنقه (ص١٢—١٤)

وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان هذه القصة عن احمد بن محمد الهمذاني عن خالد بن عُمير بن عبد الحباب السُّلَمي بالفاظها الا قليلاً ، وليس فيها من الاختلاف الا في مسألة المبارزة ، ففي رواية ياقوت : فخرج الينا في بعض الايام رجل من الروم يدعو الى المبارزة ، فخرجت اليه فلم أر فارساً مثله ، فتجاولنا عامة يومنا ، فلم يظفر واحد منا بصاحبه ، ثم تداعينا الى المصارعة فصارعت منه أشدّ الناس فصرعني وجلس على صدري ، ليذبحني وكان رسن دابته مشدوداً في عنقه ، فبقيت أعالجه دفعاً عن روحي ، وهو يعالجني ليذبحني ، فبينما هو كذلك اذ جاضت[1] دابته جيضة جذبته عني ، ووقع على صدري فبادرت وجلست على

(١) جاضت حادت وانحرفت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

صدره ، ثم نفستُ به عن القتل وأخذته أسيراً . وبقية القصة ليس فيها شيء من الاختلاف وفي ياقوت كان البيت الثاني من اللذين أنشدهما الفارس الايادي :

فلا تَجزِعون ان ضراء نابت ولا فرحون بالخير القليل

(٤) وأخبرني العباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال قال الحجاج للحكم بن المنذر ابن الجارود : ما تلبس في الشتاء قال : ظاهر الخز . قال ففي الربيع قال : العَصْب . قال ففي الصيف قال : ثياب سابور . قال : فتشرب اللبن قال : لا قال : ولمَ ، قال لانه مذفرة مبخرة محفرة . قال : فتشرب الطلا قال : لا قال : لمَ . قال : لانه ميبسة منفخة مقطعة . قال : فما تشرب قال : نبيذ الدَقل في الصيف ، ونبيذ العسل في الشتاء . قال : أنت الذي يقول لك الشاعر :

يا حكم بن المنذر بن جارود سرادق المجد عليك ممدود
أنت الجواد والجواد محمود

قال : نعم قال : اما والله لأجعلن سرادقك السجن ، ثم قال الحكم :

متى ما اكن في السجن في حبس ماجد فاني على ريب الزمان صبور
فلو كنت خفت النكث والغدر لم أجب دعاك اذا كان الامان غرور
لقد كنت دهراً ما أخوّف بالتي تخاف وما يسطو عليّ أمير

فقال له الحجاج مالك لا تبالي من تزوجت ، قال : اني لا أتشرف بهن وهن يتشرفن بي . (ص ٣٠ — ٣٠)

(٥) حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال : أوصت أعرابية من بني جشم بنتاً لها ليلة هدائها فقالت :

سليلة السادة من فرعي جُشَمْ
مضى الشباب ودنا وفدُ الهَرَمْ
وهاضني الدهر بتعراق السّقَمْ
وقرب القول مضت أُم الحكم
وزاعم ناعٍ وحق ما زعم
بانني رهن ضريح ورَجم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فالله فاخشي وارهبي لذع الكلم
وحالفي الصدق ومحمود الشيم
فالصدق للبر وللفعل ادم
والبعلَ لا تزري به عند العدم
ولا تذيعن عليه ما كتم
ولا تردي قوله اذا احتدم
فانه يعقب مذموم الندم
هذي وصاتي قبل حينِ اخترم (ص٤٢)

(٦) حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي قال حدثنا اسماعيل بن عياش عن محمد ابن يزيد الرحبي ومحمد بن الحجاج الخولاني عن عروة بن رويم اللخمي قال : كتب عمر ابن الخطاب رحمة الله عليه الى ابي عبيدة بن الجراح كتاباً فقرأه على الناس بالجابية : من عبد الله عمر امير المؤمنين الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك . اما بعد فانه لم يُقم أمر الله في الناس الا حصيف العقدة ، بعيد العزة ، لا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يُخْنَق في الحق على جرة ، ولا يخاف في الله لومة لائم والسلام عليك .

قال وكتب عمر الى ابي عبيدة : اما بعد فاني كتبت اليك بكتاب لم آلك ونفسي فيه خيراً ، الزم خمس خلال يسلم لك دينك ، وتحظى بافضل حظك : اذا حضرك الخصمان فعليك بالبينات العدول ، والأيمان القاطعة ، ثم ادن الضعيف حتى ينبسط لسانه ، ويجتريء قلبه ، وتعاهد الغريب ، فانه اذا طال حبسه ترك حاجته وانصرف الى أهله ، واذا الذي أبطل حقه من لم يرفع به رأساً ، واحرص على الصلح مالم يتبين لك القضاء والسلام عليك .
(ص ٤٤ — ٤٥)

(٧) قال زُبير بن ابي بكر أنشدني يحيى بن الزبير بن عمرو بن الزبير :

وتلفتُّ في الديار خلالاً ومضى للسبيل كل حبيب
وخلت بعد مجلس من كهول وشباب بها حماة وشيب
وتخلفت بعدهم في أُناس جهلوا حرمتي وحق مشيبي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قدرماني الكبير بالغل منهم ورواه الصغير بالتأديب
غير ما جارم ذنوباً ولكن منع البر ضغن تلك القلوب
فالى الله أشتكي ذاك اني صرت في الدار كالبعيد القريب (ص ٥١)

(٨) حدثنا علي بن الجعد قال : اخبرني شعبة عن ابي عمران الجوني عبد الملك بن حبيب قال : كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري : انه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس ، فأكرم وجوه الناس ، فيحسب المسلم الضعيف من العدل ان ينصف في الحُكم والقِسمة (ص ٥٠)

(٩) حدثنا ابي قال حدثنا هشام بن محمد عن ابي محمد القرشي قال : مرّ مسلمة بن عبد الملك بقبر الوليد بن عقبة بن ابي مُعيط بالرّقة فقال : قبر مَن هذا ، قيل قبر الوليد ابن عقبة قال : رحم الله اباوهب وجعل يثني عليه . فقبر مَن هذا الآخر قيل قبر ابي زُبيد الطائي الشاعر قال : وهذا فرحمه الله فقيل انه كان نصرانياً . قال : انه كان كريماً (ص ٥٣)

(١٠) حدثني سليمان بن ابي شيخ قال قتل أبان بن سعيد بن العاص يوم أجنادين شهيداً ، وقتل خالد بن سعيد بن العاص يوم مرج الصُّفَّر شهيداً ، وكانت امرأته أُم حكيم بنت الحارث بن هشام دخل بها بمرج الصُّفَّر فخرج وهو عروس فقاتل فقتل ، وخرجت هي بعمود فقتلت سبعة من الروم وكانت قبله تحت ابن عمها عِكرمة بن ابي جهل فقتل عنها يوم فِحل ، فلما انقضت عدتها خطبها يزيد بن ابي سفيان وخالد بن سعيد فخطبت الى خالد ثم تزوجها عمر بن الخطاب فهي التي تسحر عندها عبد الرحمن بن الحرث لان ام عبد الرحمن فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ماتت قبل ذلك بدهر ، وهي ام ام حكيم ، واستشهد قبل ذلك الحكم بن سعيد بن العاص يوم مؤتة مع جعفر بن ابي طالب ، واستشهد مع رسول الله (ص) يوم حصن الطائف سعيد بن العاص . وحدثني محمد بن عباد العُكلي قال سمعت عبد العزيز الاموي يحدث عن اهل بيته قال ولد سعيد بن العاص ابو احيحة ثمانية رجال لم يمت احد منهم على فراشه فقتل ثلاثة مع المشركين وقتل أُحيحة يوم الفجار وقتل العاص بن سعيد بن العاص وعبيدة بن سعيد بن العاص يوم بدر وقتل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سعيد بن (٠٠) يوم الطائف وقتل الحكم بن سعيد يوم اليمامة وكان يعلم الحكمة بالمدينة وقتل خالد يوم مرج الصفر وهو الذي يقول :

مَن فارس كره الكماة يعيرني رمحًا اذا نزلوا بمرج الصفر

وقتل أبان وعمرو يوم أجنادين وقال ابن الكلبي قتل عمرو يوم فحل (١١٨ — ١٢٠) قلنا فانظر الى مفاداة بني أُمية بارواحهم ليوطدوا دعائم الملك الاسلامي وينشروا الاسلام بين الانام .

(١١) حدثني محمد بن عباد بن موسى قال حدثنا زياد بن زيان الكلبي عن شرقي بن قُطامي عن الكلبي عن زهير بن منظور عن جارية بن اصرم قال : رأيت وداً في الجاهلية في صورة رجل آدم اشعر مرتد ببرد حبرة مؤتزر باخرى متقلد قوساً ووفضة وأمامه حربة مركوزة ، ثم رأيت رسول الله (ص) قدم تبوك فبعث خالد بن الوليد فجعله جذاذاً (ص ١٢٠)

(١٢) أنشدني أعرابي من بني تميم من بني حنظلة :

من تصدى لأخيه بالغنى فهو أخوه
فان اضطر اليه راءَ منه ما يسوه
بكرَم المثري فان أملق أقصاه ذووه
نحن في دهر على المُعدِم لايجدي ابوه
وعلى الوالد لا يفضل ان عال بنوه
لورأى الناس نبيًا سائلاً ما وصلوه
وهم ان طمعوا في زاد كلب أكلوه
لا تراني آخر الدهر بتسآل أفوه
ان من يسأل غير الله يكثر محروموه
والذي قام بار زاق الورى طراً سلوه
وعن الناس بفضل الله فاغنوا واحمدوه
تلبسوا أثواب عز فاسمعوا قولي وعوه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انت ما استغنيت عن صاحبك الدهر اخوه
فاذا احتجت اليـــه ساعة محك فوه
أفضل المعروف ما لم تبتذل فيه الوجوه

(ص ١٢٤ — ١٢٥)

(١٣) حدثنا سليمان بن ابي شيخ قال : حدثنا سليمان بن زياد عن أخيه يحيى بن زياد قال : كان عبد الملك بن مروان يكتب الى الحجاج : جنبني دماء بني عبـد المطلب فاني رأيت بني حرب أصابوها فلم يمهل لهم (ص١٢٦)

(١٤) وحدثني عبد الرحمن (بن عبدالله بن قُريب) قال حدثنا عمير قال : زعموا ان الحجاج بن يوسف مات ولم يترك الا ثلاثمائة درهم ومصحفاً وسيفاً وسرجاً ورحلاً ومائة درع موقوفة (ص ١٣١)

(١٥) أنشدنا الحسين بن عبد الرحمن قال أنشدني الأُموي :

من عذيري من قائل اخواني كلهم في مقاله غير وانِ
نصحوني بزعمهم قلت كفوا لا أرى شأنكم يلائم شاني
لاأبيع الجزيل من عرض مثلي بخسيس من ناقص الاثمان
ماء وجهي يرد غرب لساني دون ما قد أردتم من بياني
ذهب المبتدون بالاحسان والمكافون بابتـذال اللسان
ان ذلـــ السؤال يأنفه الحـ ـر وان عضـــه مضيق الزمان

(ص ١٣٢)

(١٦) حدثنا هشام بن الوليد قال : حدثنا عبد الله بن حَشْرَج البصري قال : حدثني المستنير بن اخضر عن اياس بن معـاوية بن قرة قال : جاءه دهقان فسأله عـن السكر أحرام هو ام حلال . فقال : هو حرام . قال : كيف يكون حراماً . قال : أخبرني عن التمر أحلال هو أم حرام . قال : حلال . قال : فأخبرني عن الكشوث أحلال هو أم حرام . قال : حلال . قال : فأخبرني عن الماء أحلال هو أم حرام قال : حلال . قال : فما خالف مابينها وانما هو من التمر والكشوث والماء ان يكون هذا حلالاً وهذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حراماً . قال : فقال اياس للدهقان : لو أخذت كفاً من تراب فضربتك به أكان يوجعك . قال : لا . قال : لو أخذت كفاً من ماء فضربتك به أكان يوجعك قال : لا . قال : لو أخذت كفاً من تبن فضربتك به أكان يوجعك قال : لا . قال : فاذا انا أخذت هذا الطين فعجنته بالتبن والماء ثم جعلته كتلاً ثم تركته حتى يجف ثم ضربتك به أيوجعك قال : نعم وتقتلني قال : فكذاك هذا التمر والماء والكشوث اذا جمع ثم عتق حَرُم كما جفف هذا فأوجع او قتل وكان لا يوجع ولا يقتل (ص ١٣٣ — ١٣٤)

(١٧) حدثنا ابو كريب قال : حدثنا طلق بن غنام قال : حدثنا شريك عن عبد الملك بن عُمير قال : كتب المغيرة بن شعبة الى معاوية يذكر فناء عمره ، وفناء أهل بيته ، وجفوة قريش اياه . قال : فورد الكتاب على معاوية وزياد عنده . فلما قرأ الكتاب قال له زياد : يا امير المؤمنين ولني إجابته قال : فألقى اليه الكتاب . قال : فصدّر زياد الكتاب ثم كتب : اما ماذكرت من ذهاب عمرك فانه لم يأكله احد غيرك ، واما ماذكرت من فناء اهل بيتك ، فلو ان امير المؤمنين قدر ان يقي احداً الموت لوقى أهل بيته ، واما ما ذكرت من جفوة قريش إياك فانى يكون ذاك وهم امروك . فلما قدم الكتاب على المغيرة قرأه قال : اللهم عليك زياداً اللهم عليك زياداً . (ص ١٣٧)

(١٨) حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال : قال شبيب بن شيبة : رأى خالد بن صفوان رجالاً قد أصابوا مالاً فتكلموا وغلوا فقال :

وأنطقت الدراهم بعد عيٍ أُناساً طال ما كانوا سكوتا
فما عادوا على جارٍ بخير ولا رفعوا لمكرمة بيوتا
كذاك المال يجبر كل عيب ويترك كل ذي حسب صموتا

(ص ١٤٥) .

(١٩) حدثنا علي بن حرب الطائي قال : حدثنا اسماعيل بن زياد بن ابي زياد الفقيمي عن ابي جرير عن الشعبي قال : كان رجل يهدي لعمر بن الخطاب كل عام فخذ جزور فصم اليه رجلاً فقال : يا امير المؤمنين ، اقض بيننا قضاءً فصلاً كما يُفصل الرجل من سائر الجزور . قال : فقضى عليه عمر ثم كتب الى عماله ان الهدايا هي الرشا (١٥٨)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٢٠) أنشدني ابو عبد الله بن فنن قوله :

أصبحت أنهض مثل الطفل معتمداً ... على اليدين كذاك الشيخ يعتمد
من عاش أخلقت الايام جُدته ... تكرهاً وجفاه الأهل والولد
نطوي الليالي وتطوينا فتخلقنا ... وهن من بعد ما أخلقننا جدد
طال التأوه للضعف الذي أجد ... وباد قومي وطال الهم والسُهد
وصرت أرسف بعد الشد من كبر ... رسف المقيد بل بي فوق ما أجد
فهل لشيخ كبير لا حراك به ... من الزمان طبيب عنده رشد
أين الشباب الذي كنا نعيش به ... عيشاً رضياً وأين الجد والجلَد
فقدت للشيب لذات الشباب الا ... كل اللذاذة بعد الشيب تفتقد
أمسي كثيري قليلاً يستدل به ... على الفناء ولكن بعد لي امد

(٢١) وأنشدني رجل من اهل البصرة لرجل من بلعنبر :

اذا ما أراد الله ذلّ عشيرة ... رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
فأول عجز القوم فيما ينوبهم ... تدافعهم عنه وطول التواكل
واول خبث الماء خبث ترابه ... واول لؤم القوم لؤم الحلائل

(ص ١٨٨)

(٢٢) حدثني شيخ من بني تميم قال : أوصى رجل ابنه فقال : يابني اغتنم مسالمة من لا يدين لك بمحاربته ، وليكن هربك من السلطان الى الوحش في الفيافي ، حتى تأمن من سعاية الساعي بك ، وطمع الطامع فيك ، لا يغرنك بشاشة امرئ حتى تعلم ما وراءها ، فان دفائن الناس في صدورهم وخُدَعهم في وجوههم ، ولتكن شكايتك من الدهر الى رب الدهر واعلم ان الله اذا أراد بك خيراً او شراً أمضاه فيك على ما أحب العباد او كرهوا . (ص ١٩٢)

(٢٣) سمعت شيخاً من قريش من ولد عمر بن عبد العزيز قال : كتبت الى رجل في حاجة : اني قد بذلت لك من جاهي ما قد صنته عن غيرك ، فضعني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الانصاري قال : حدثني ابراهيم بن مسعود قال : كان رجل من تجار اهل المدينة يختلف الى جعفر بن محمد ويخالفه ويعرفه بحسن الحال فتغيرت حاله فشكا ذلك الى جعفر بن محمد فقال له جعفر :

لا تجزع وان أعسرت يوماً فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوءٍ فان الله أولى بالجميل

قال فخرجت من عنده وأنا من أغنى الناس .

آخر كتاب الإشراف (ص ١٩٣)

هذا آخر النموذجات التي اخترناها وآخر الكتاب .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ماهية الجنون وتاريخه

- ٢ -

الجنون في اللغة العربية — الجنون في اللغة الاستتار . وجن الشيء اذا استتر . وأجن الليل الشيء اذا ستره . والمجنون من الناس من كان مستور العقل . وقد أطلق العرب كلمة الجنون على جميع الآفات النفسية على اختلافها وتنوعها فقالوا : الجنون فنون ، ولا يخلو العاقل من ضرب من الجنون . وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : ليس من احد الا وفيه حمقة فيها يعيش . وسمى النبي صلى الله عليه وسلم من أبلى شبابه في المعصية مجنونًا . وسمى العرب العاشق مجنونًا . ونعتوا بالجنون من يخالفهم في عاداتهم فيجيء بما ينكرون . ولهذا قالوا في النبي صلى الله عليه وسلم حين تحداهم الى الايمان بالله انه ساحر أو مجنون .

فالجنون والحالة هذه كلمة عامة أطلقها العرب على جميع الأحوال النفسية الشاذة . والمجنون عندهم كل من أصيب في نفسه فلم يأتلف مع البيئة عقلاً أو فعلاً أو انفعالاً . وهذا أقصى ما وصل اليه العلم الحديث في تعريف الجنون في العصر الأخير .

غير ان الاصطلاح قد أخرج هذه الكلمة من معناها الذي تقدم ذكره وخصها بمن أصيب في عقله فراح يسب ويخلط ويهذي ويضرب ويخرق الثوب . وقد فقدت اللغة العربية بهذا التخصيص مادة عامة هي في أشد الحاجة اليها اليوم من الوجهة العلمية . ولما كان الرجوع الى كلمة الجنون متعذراً بعد ذلك التخصيص ولما علق بها من معنى الإهانة والتحقير رأينا ان يستعاض عنها بكلمة نُفاس أي مرض النفس اشتقاقًا على القياس كما يقال كُباد وقُلاب . فيقال منفوس كمكبود ومصدور .

أما ما يوجد في اللغة العربية من الألفاظ التي عدّها كثير من علماء اللغة مرادفة لكلمة مجنون فانها في الحقيقة غير مترادفة ونسبتها الى الجنون نسبة النوع الى الجنس . فان لكل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منها معنىً خاصاً يميزها عن الأُخرى . وقد لا يوجد في لغة من لغات العالم القديمة والحديثة مافي اللغة العربية من الأسماء الخاصة المتعلقة بالحالات النفسية المرضية . فالفدومة والبلاهة والرعونة والحمق والعته والسبه والهذيان والخرف والزور والمس والخبل والهوس والهلس والوسواس والجذب الى غير ذلك من عشرات الأسماء ما هي الا مسميات لحالات نفسية مرضية مختلفة خاصة . ووجودها قديماً في اللغة يدل دلالة واضحة على كبير إلمام بالاحوال النفسية وخصائصها في تلك العصور الغابرة .

الجنون والشرع الاسلامي — للشريعة الاسلامية فضل السبق على سائر الشرائع القديمة والحديثة بوضع أحكام للمجانين جامعة مطابقة لروح العدل والعلم والاجتماع على اختلاف الزمان والمكان . فهي تنزل المجنون في الحكم وفي المعاملات منزلة الصغير غير المميز أوالمميز أحياناً حسب نوع جنونه ودرجته . وتقضي على السفيه والفاسق اللذين يعدهما العلم الحديث من المنفوسين بالحجر محافظة على أموالهم . وتحدد درجات المحجورين والمأذونين منهم وتعرفهم وتبين أنواعهم وتفصل أحكامهم بالنسبة لأنواع التصرفات مما لم تتوفق اليه الشرائع المدنية الحديثه الا في القرن الأخير . فالمجنون في الشرع الاسلامي غير مكلف وهومحجور لذاته . وحكمه حكم الصغير غير المميز اذا كان جنونه مطبقاً . وحكم الصغير المميز اذا كان جنونه قسمياً . وتصرفات المجنون في حال إفاقته كتصرف العاقل . والسفيه المحجور هو في المعاملات كالصغير المميز ووليه الحاكم فقط . ويضمن المجنون الضرر والخسارة اللذين نشآ من فعله . ولا ينفذ حكم القتل على من جن قبل تنفيذ الحكم . ويستند القاضي في اثبات الجنون الى الخبير من الاطباء . الى غير ذلك من الاحكام الكلية المعمول بها في الاسلام منذ الف وثلاثمائة سنة والتي لا تختلف في نصوصها عن الاحكام المرعية اليوم عند أرقى الامم حضارة وثقافة ومدنية .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

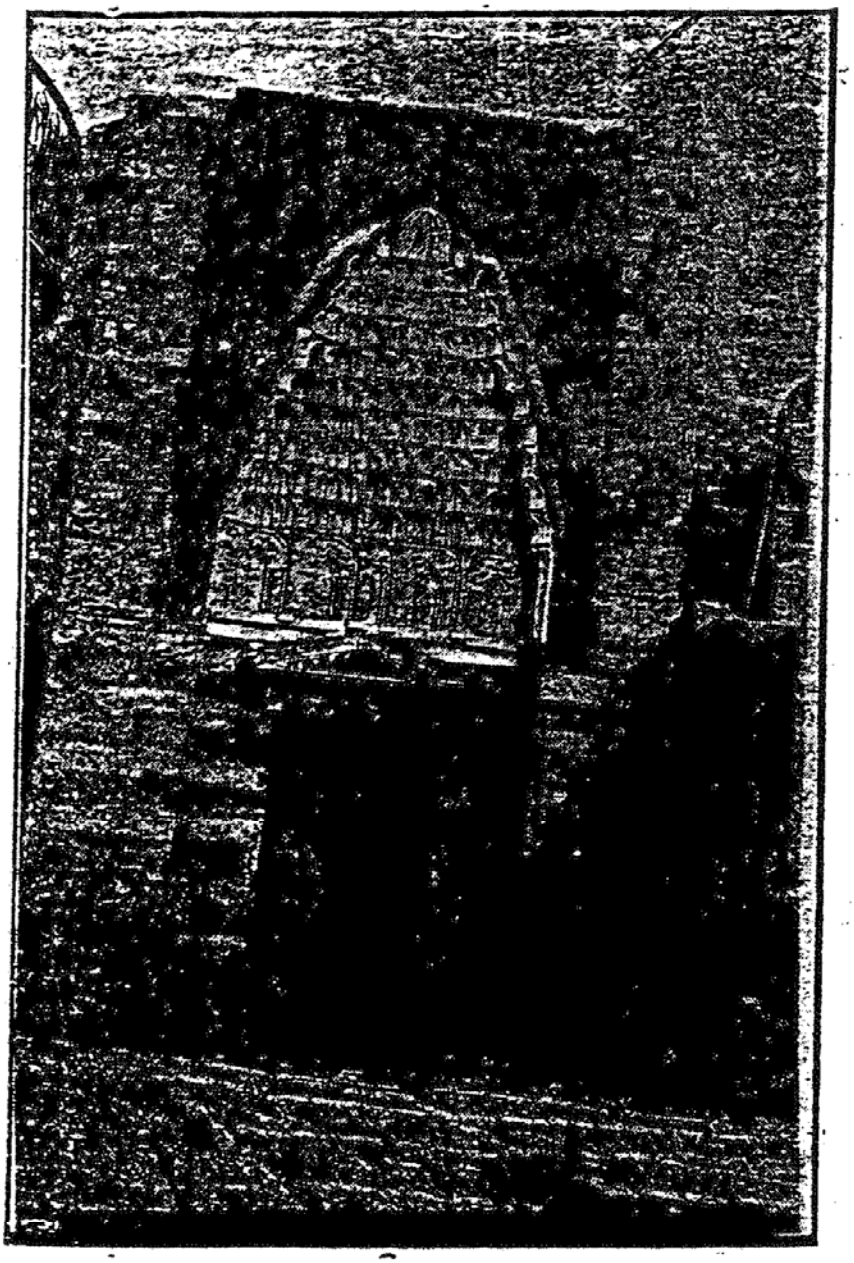

« البيمارستان النوري الكبير في دمشق »

أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٠ هـ

وهو اليوم ميتم للاناث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

«البيمارستان القيمري في دمشق»

أنشأه الأمير سيف الدين قيمر سنة ٦٤٣ هـ في سفح جبل الصالحية
وهو اليوم حظيرة يأوي اليه الفقراء والمساكين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجنون والمجانين في اوربة في القرون الوسطى — وبينا الطب النفسي يرفل في الممالك الاسلامية بابهى الحلل كانت اوربة تائهة في ليل من الأضاليل وقد شاع فيها الاعتقاد بالجنون الالآهي والشيطاني شأنه في القرون المتقدمة فراحت تبجل المصابين بالهذيان الديني وترمي بالكفر المبتلين بانواع الهذيان المخالف للشرائع والمعتقدات فيحكم عليهم بالسجن والقتل أو يقذف بهم في أعماق آبار روما القديمة حيث يقضون نحبهم ضحية الجهل المطبق. ولم يكن القانون الروماني يستثني من العقاب سوى المصابين ببعض أنواع الجنون المطبق كالعته التام والبلاهة الشديدة . وقد كان هؤلاء المرضى غير المسؤولين يرسلون الى قرى وجزر غير آهلة ولا منبتة تخصص لهم صيانة للناس من أذاهم ، والهولنديون هم اول من ابتدع هذه الطريقة في تجريد المجانين ، وقد كانت هذه القرى ذات أسوار ضخمة مرتفعة وفي داخلها غرفة ذات سلاسل وقيود يقيد بها المجانين المحتدون ويظلون فيها الى أن يقضوا نحبهم .

الجنون والمجانين في القرون الأخيرة — بقي علم الجنون حتى أواخر القرن الثامن عشر غريباً عن علم الطب كأنه لا يمتُّ اليه بصلة . وظل العالم باجمعه حتى أواخر القرن التاسع عشر ينظر الى المجنون نظره الى الحيوان المفترس فيعمل على غله وتجريده والحجر عليه ليأمن أذاه دون ان تأخذه به رأفة أو أن يفكر بمداواته وبرئه . وقد كان المجانين في جميع البلدان يساقون في الأسواق مغلولي الأيدي حفاة مكشوفي الرؤوس مطوقي الأعناق بسلاسل طويلة يقودهم بها السجانون ومن ورائهم الناس والأولاد يهزأون بهم ويسخرون منهم الى ان يبلغوا المكان المعد لهم وهو أشبه بسجن في باطنه حجيرات صغيرة ضيقة منخفضة السقف مظلمة لا ينفذ اليها النور الا من نافذة صغيرة في السقف أو في أعلى الجدار وقد سلحت جدرانها بالسلاسل والأغلال يقيد بها المجنون ويزج فيها على الأرض أو على مقعد خشبي حيث يقضي ليله ونهاره بعيداً عن النور والهواء في جوٍّ تتكاثف فيه العفونة والروائح المنتنة الكريهة الى ان تمد اليه الطبيعة يد الاحسان والشفقة فتتداركه باحد أمراضها القتالة وتريحه من مظالم أخيه الانسان .

ومن بواعث الأسى والأسف ان الناس كانوا حتى أوائل العصر الحاضر يؤمون هذه الملاجئ أو بالحري هذه المجازر لترويح النفس بمشاهدة اولئك الضعفاء الابرياء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا تعتريهم عندما يشاهدونهم يقاسون تلك الآلام شفقة ولا رأفة ، بل بالعكس كان منهم من يحاول إثارة غضب ذلك البائس بايذائه ليبادر اليه زبانية المحل بالسياط فيقهقه الناظرون لهذا المنظر الوحشي كأنهم ليسوا من طينة هؤلاء التعساء . ولا غرو فقد خلق الانسان ظلوماً .

ومما تقدم ذكره يتبين لنا ان مدنية القرون الاخيرة انحصرت في تجريد المجنون عن الهيأة الاجتماعية لتتملص من أذاه دون ان تمد اليه يد الاسعاف ودون ان تلحظه عين العلم بطرف ، وفي ذلك لعمري منتهى الانانية والظلم .

الجنون والمجانين في القرن التاسع عشر والعشرين — هكذا بقي الجنون يُعد حالة لا صلة للعلم بهـا والمجنون حيواناً لا يمتُّ الى البشرية باصل الى سنة ١٧٩٣ حيث قيض الله له رسولاً من الرحمة حطَّم بجهاده العلمي سلاسله وقيوده ونهض به من درجة الحيوان الى مكانة الانسان المريض وذلك المصلح المجدد الكبير هو الدكتور بينل الذي تخلد له الانسانية في صدرها ذكراً مشفوعاً بالحرمة والثناء .

عهدت حكومة الشعب الفرنسية ايها السادة الى بنيل (Pinel) سنة ١٧٩٣ بادارة مستشفى بيستر (Bisétre) فشق عليه ماراَه فيه من حالة المجانين التي اتينا على وصفهـا . فآلى على نفسه ان يعمل على انقاذهم من هذه المجازر التي يحمر منها وجه الانسانية خجلاً فتقرب الى الحكومة بطلب حل قيود المجـانين ومعاملتهم باللين والحسنى فهزأت بكلامه مراراً ثم اجابته الى طلبه بعد ان اخذ على نفسه تبعة هذا العمل وبرهن فعلاً على ان اطلاق المجانين ينقص من هياجهم ويساعد على برئهم . فدخل الطب النفسي من هذا العهد في دور رقي جديد وقد عم هـذا الاصلاح انكلترا والمانيا وايطاليا وسائر الممالك الاوربية الراقية . فسادت فيها فكرة الانسانية وبديء بقلب تلك السجون الدامية الى دور تمريض يلقى فيها المجنون مايلقاه المريض من العناية والمعالجة والنظافة والغذاء والدرس الطبي والمشاهدة .

ومنعاً لاساءة التصرف بالحجر على الناس المصابين بالآفات العقلية اصدرت الحكومة الفرنسية قانون ٣٠ حزيران سنة ١٨٣٨ المتعلق بنظام المؤسسات الصحية المخصصة للمجانين . ولم يزل هذا القانون معمولاً به حتى اليوم . وفي جميع الممالك الاوربية بفروق قليلة . وعلى الرغم من ان هدف هذا القانون اجتماعي غير طبي فان وضع المجانين في دور خاصة تتوفر فيها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسباب الخدمة والتمريض وحسن الادارة فسح للاطباء مجالاً لدرس اولئك المرضى ومشاهدتهم مما عاد على الطب وعلى الانسانية بالنفع الكبير لان الجنون الذي لم يكن يعرف من حقائقه الا القليل بدأ يتضح رويداً رويداً ويدخل في نهج علمي صحيح .

ففي سنة ١٨٢٢ ميز بيل (Bayle) الخبل العام (Paralysie géneraIe) ووصف لاسيك (Lasèque) سنة ١٨٥٢ هذيان الاضطهاد وجدد مارك وفورده طب المجانين الشرعي وفي سنة ١٨٥٤ وصف فالرت (Falret) وبيارجر (Baillarger) الجنة المتناوبة ثم جاءت اعمال مولر ولفرن وكوتار وشاركو وغيرهم من الاساتذة المشهورين وكلها ترمي الى تصنيف امراض النفس وتمييز كل منها عن الآخر . اما المداواة فقد قامت في وجهها عقبات جمة اهمها الاعتقاد باستحالة شفاء المجنون وعدم امكان مداواته وقد ابلى مانيان (Magnan) في مقاومة هذه الفكرة بلاءً حسنا ونهج في استقرائه العلمي طرق التشريح والتجربة متوخياً التوفيق مابين الفسيولوجيا والسريريات . فهداه عمله هذا الى اكتشاف اسباب كثير من الحالات النفسية الجنونية وذلك ان هذه الحالات تنشأ في الغالب عن اختلالات الجسم العضوية الناشئة عن المسكرات والسموم والعفونة وعدم كفاية الاعضاء الباطنية وغير ذلك مما يجعل مابين امراض الجسم والآفات النفسية علاقة قوية . ويفتح في وجه الامراض النفسية طرقاً جديدة للمداواة والوقاية .

هنا دخل طب النفس في عهد جديد . فانه لم يقف عند عد المجنون مريضاً عادياً يعنى بمداواته مدة مرضه بل تجاوز هذا الحد الى القول بوجوب الاسراع بتشخيص الداء في بدء حدوثه ومكافحته كما تكافح سائر الامراض بطرق التحفظ والوقاية والمداواة العاجلة . وذلك لان المشاهدات الطبية اثبتت ان كثيراً من الامراض النفسية تشفى بسهولة اذا عولجت في بدء نشوئها كما ان الاحصاآت دلت على ان في ١٠٠ حادثة شفاء يوجد سبعون ممن عولجوا في السنة الاولى والثانية و٣ — ٤ ممن عولجوا في السنة الثالثة . وخير دليل ناطق على علاقة امراض الجسم بآفات النفس وامكان مداواتها والوقاية منها : الزهري اي الافرنجي فهو مرض وبيل تنشأ عنه امراض عصبية ودماغية عضالة تشفى بالمداواة العاجلة . كما انه من الممكن منع حدوثها بمداواة هذا المرض في بدء ظهوره .

وهكذا يقال في المسكرات الغولية وغيرها فان ادمانها يفسد الكبد ويضعف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاعصاب ، فتقف الخلايا الكبدية دون ايفاء وظيفتها فتتسمم الخلايا الدماغية وتصبح مريضة ينشا عنها الاختلال العقلي والخلقي ، فاذا فطم السكير عن المسكر وأصلحت كبده بالأدوية الخاصة يقل تجمع السم في دمه فتصلح حاله النفسية . وهكذا الحال مع غير المسكرات من السموم ، ومع الامراض العفنية واختلال الافرازات الغدية وغيرها مما يسبب ضعف الخلايا الدماغية ويحدث فساداً في الافعال العقلية وفي الفاعلية والانفعال ، فيدعى صاحبها مجنوناً بينما هو مريض وكان بالامكان وقايته من هذه الامراض الجنونية بمداواة سببها كما انه في الامكان شفاؤه منها اذا اكتشف الطبيب السبب وعالجه قبل ان يتأصل الداء في جسمه .

ومما تقدم ذكره يتضح لنا أيها السادة ان كثيراً من الأمراض النفسية التي كان الطب القديم يحكم بعدم شفائها تشفى اليوم بفضل الرقي العلمي الحديث وهي تكافح وتتقى كما تكافح سائر الأمراض الجسمية .

على ان الوقاية النفسية قد خطت اليوم خطوة كبرى تعد على حداثة عهدها من مفاخر هذا العصر ومبتدعاته وبذلك بفضل جهود احد المحسنين الامير كيين كليفور ويليام بير (Clifford W. Beers) الملقب بينل اميركا . وذلك ان هذا الرجل المحسن الكبير كان أصيب باختلال عقلي من جراء مرض الوافدة ، وحجر عليه من سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٣ ، فلما شفي وخرج من المستشفى أخذ على نفسه ان يعمل على وقاية بني جنسه من الاختلالات النفسية ويسعى لحسن مداواتها ، فأسس سنة ١٩٠٨ في نيويورك جمعية حفظ صحة النفس وتطوع للتبشير بها ، فانتشرت فكرته هذه في جميع العالم المتمدن ، فتأسست في سويسرة وفرنسة سنة ١٩٢٠ وفي بولونيا سنة ١٩٢١ وفي البرازيل سنة ١٩٢٣ وفي بيرو والمجر وتشكوسلوفاكيا وبولونيا سنة ١٩٢٤ مؤسسات كبيرة لحفظ صحة النفس .

وقد كانت الحرب العالمية الاخيرة العامل الاكبر في توجيه أبصار العالم المتمدن الى أهمية الوقاية النفسية ووجوب الاعتناء بصحة عقلية الفرد التي تتوقف عليها حياة المجموع وسلامته . فقد كان يوجد وراء كل جيش من جيوش الامم المحاربة العظمى هيأة صحية عملها فحص نفسية الضباط والافراد ، ومستشفيات خاصة لمداواة الآفات النفسية في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خطوط القتال . قال الدكتور بترتريسكا في كتابه الوقاية النفسية : ان (٦٨٠٠٠٠٠) جندي أخرجوا من الجيش الاميركي وأعيدوا لبلادهم لاكتشاف آفات نفسية في جسومهم وانه بفضل هذا الانتقاء كانت صحة الجيش الاميركي النفسية جيدة مسرة ، فقد بلغ عدد حوادث الانتحار والجنايات فيه (١٢٠) حادثة انتحار و (١٧٣١) جنحة وجناية بينما كان عدد حوادث الانتحار فيه قبل الحرب (١١٧٠) حادثة و (٢٥٠٠٠) حادثة جنحة وجناية . وختم هذا البحث بقوله ان تجربة الحرب أثبتت أهمية العنصر النفسي في صحة المجتمع .

وقال الدكتور تولوز مؤسس الوقاية النفسية في فرنسة : « تتألف مقومات الفاعلية الاجتماعية الاساسية من نفسية الافراد ، فان مرض عضو واحد من أعضاء الفرد لايمنعه من القيام بعمل صناعي صحيح ، بينما أخف الحالات النفسية السيئة تؤدي الى نقص الفاعلية المنتجة أو بطلانها ، فسلامة النفس والحالة هذه هي في الدرجة الاولى من الاهمية فيما يتعلق بانتاج الفرد الذي هو العنصر الذي تتألف منه حياة الامة السعيدة ، فمن الواجب على فرنسة التي نهكتها الحرب وأفقرتها ان تستجمع كل قواها لاعادة بنيان ثروتها من القدرة النفسية . »

واليكم خلاصة نظام اتحاد وقاية النفس الافرنسي المطبق اليوم :

(١) تهذيب الشعب وتعليمه ليدفع عن نفسه الامراض النفسية كما يتقى مرض السل وذلك بواسطة التبشير والصحف والدعاية لترك المسكرات واجتناب دور الفحش والميسر .

(٢) تأمين كشف المرض النفسي ومداواته في بدئه وذلك بفتح مستوصفات خاصة بالآفات النفسية يقوم بمهامها أخصائيون وممرضات سيارات .

(٣) وقاية الطلاب والصناع من الآفات النفسية بدرس درجة تحمل قواهم العقلية وتعيين الصناعة التي تتفق مع مداركهم .

ومن هذا النظام يتضح لنا ان جمعيات حفظ صحة النفس لم تقف عند حد مداواة الامراض النفسية والوقاية منها بل تعدتها الى هدف أسمى ، فهي تدرس قابلية الاشخاص والطلاب العلمية والعملية وهم في مدارسهم وتوجه كلاً منهم الى العلم أو الصناعة التي تلتئم مع مواهبه ، فيستثمر العلم والصناعة من قواه الحد الاقصى ، وفي هذا منتهى الرقي والتقدم .

ومن هذه الخلاصة التاريخية أيها السادة يتبين لنا ان علم الامراض النفسية ولا نسميها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لعد اليوم بالجنون لما تلوثت به هذه الكلمة من أدران الجهل والظلم والوحشية في العصور الماضية — قد تطور تطوراً سريعاً في هذه السنين الاخيرة من أساطير خرافية — الى علم طبي — الى فن مداواة ووقاية — الى علم اجتماعي ترتكز عليه سعادة الامم ورقيها ، وان المنفوس أي المصاب بآفة نفسية ولا نسميه بعد اليوم مجنوناً لما تدنست به هذه الكلمة من من الحقارة وعدم الدلالة على المعنى العلمي — قد ارتقى من سليب آلهة أو ملموس شياطين الى أثيم شرير يسجن أو يحرق أو يصلب — الى حيوان مفترس يكبل بالسلاسل والاغلال — الى بريء يستحق الرأفة والاحسان — الى مريض معصوم ينتقل ما بين سرير المستشفى وردهات المصح حيث النور والهواء الطلق والحدائق والمطاعم والمشاغل مما يعد من مفاخر هذا العصر ، وهو يؤيد ماقدمته في بدء هذه المحاضرة : إن أرقى عصور البشرية علماً هي التي عرفت فيها ماهية الجنون وأبهى أيام البشرية حضارة هي التي عومل فيها المجنون معاملة المرضى بالرأفة والشفقة والاحسان .

الدكتور اسعد الحكيم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

محاضرات

— في —

تاريخ آداب العرب

—«»—

١ — ماهو الادب . ماتاريخه ، من هم العرب . ما أصلهم . واين منبتهم . لِمَ سموا عرباً . طبقاتهم . امهات قبائلهم . العرب والأعراب . جزيرة العرب . حدودها . واقسامها قديماً وحديثاً ... الخ . أبحاث كثر ترددها في صدور المؤلفات الموضوعة في هذا الشأن . واحتلت من مقدماتها مكاناً فسيحاً ليس من حقها ان تحتله ، حتى أصبح الشداة من خريجي الثانويات يسأمون حشوها في آذانهم وحشدها في أذهانهم .

اذا أضفنا هذا الى مافي الساعات المرصدة لهذا العلم في هذا المعهد من القلة ، تجدنا جدّ معذورين في ان نصدف عن هذه الأبحاث وما على شاكلتها مما ليس من الموضوع في العمود ، وان نمد يدنا الى المقصود من أقرب نواحيه ، من غير ما حاجة الى ركوب الصعب والذلول من المقدمات الطويلة .

٢ — يرد العلماء اليوم اللغات البشرية الى ثلاثة أصول : السامي . والآري . والطوراني . ويعدون العربية من الأصل السامي . واذا اعتبرنا اللغة البابلية الاولى التي عُثِر على بقيتها في آثار الدولة الحمورية — هي الأصل السامي الذي انشقت منه اللغات المنسوبة اليه ، يترجح عندئذ أن العربية أقرب أخواتها الى ذلك الأصل ، او انها هي الاصل نفسه ، تقلبت في اطوار ، وتنقلت في احوال ، وحدثتها القرون الخالية بالصقال . حتى وصلت

(١) دروس الاستاذ طه بك الراوي عضو المجمع العلمي العربي واستاذ التفسير في جامعة آل البيت سابقاً والآداب العربية في دار المعلمين اليوم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى ماوصلت اليه الآن . ذلك لأن العلماء رأوا مشابهة واضحة بين العربية الحاضرة والبابلية الاولى . ووجدوا في هذه كلمات ، وعلامات ، واصولاً ، وقواعد ، هي نفسها موجودة في العربية مع خلو سائر اخواتها السامية منها . أو هي موجودة فيها مع تحريف وتحوير ، ليسا بالبعيدين .

فمن وجوه المشابهة بين العربية المضرية والبابلية ، حركات الاعراب ، فانها في البابلية كما هي في العربية . ولا أثر لها في سائر اللغات السامية . ومن هنا يظهر ان الاعراب عريق في العربية عرفها وعرفته قبل أن يعرفهما التاريخ . ومن وجوه المشابهة علامة الجمع السالم فانها في اللغتين (و ن) . وصيغ الافعال في اللغتين متقاربة جداً . والتنوين في البابلية ميم ساكنة . والميم اخت النون في العربية . وكثيراً ما تتبادلان مثل (عنبر) تنطق (عمبر) ومن امثلة الكلمات التي جاءت في اللغتين معاً من غير ما تحريف : أنف ، عنب ، بلال ، صعصعة ، نسر ، شمس . الى غيرها من الكلمات التي لاتختلف شيئاً في اللغتين .

اذا أضفنا هذا الى مايراه المحققون من أن مهد العنصر السامي جزيرة العرب ، يتبين لنا جلياً صدق ماذهبنا اليه من ان اللغة العربية هي العمود الذي انشعبت منه سائر اللغات السامية . او لا أقل من أنها أقرب اخواتها كلها الى الاصل الاول المندثر على تقدير وجوده . والعلماء يعللون ذلك بكون العربية المضرية عاشت في معظم عصورها متبدية ، والبداوة حرز حريز لما تحوطه بعنايتها وتربيه في حجرها من اللغات ، إذ من البديهي أن اللغة تتلون بتلون العمران . وتصطبغ بصبغة الحضارة التي تعيش في اكنافها . وأين العمران والحضارة من المهامه الفيح ، والصحارى التي تحار فيها الريح !! .

٣ — ليس معنى كون العربية أصلاً . أو قريبة من الاصل أن هذه اللغة المضرية اليعربية التي تحوكها اقلامنا ، وتلوكها افواهنا ، هي تلك الام القديمة على ما كانت عليه في مهد حياتها . حفظتها لنا القرون الخالية ، فأدتها الينا مصونة من التحوير والتغيير . لا . وانما المقصود ان الشعب العربي الذي مازال ولم يزل يحتفظ بجزيرته ، مهد العنصر السامي . احتفظ بأم لغات هذا العنصر . وان تلك الام تطورت من حال الى حال ، وتعهدتها الاجيال بالصقال ، ولم تزل تتنازعها عوامل البسط والقبض ، والرفع والخفض ، الى ان تناولتها يد النهضة الاسلامية . فجمعت شملها ، ولمت شعثها ، وزادت في ثرائها ، وبالغت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في نمائها ، ثم وطدت قواعدها ، وضبطت اصولها وفروعها ، واحاطتها بعظيم رعايتها وشملتها بجليل حمايتها ، الى ان بلغت مابلغت من البسطة في السلطان ، والكثرة في الاعوان . واتسع صدرها للعلوم المختلفة من بين شرعية ولسانية ، وفلسفية ، وغيرها ، وبلغت يوم ذاك شأواً قصياً لم تصل اليه لغة من لغات العالم التي كانت تعاصرها .

فاذا انت القيت نظرة اليها وهي زاخرة بالعلوم والفنون في العصر العباسي تجدها اوسع رقعة منها في العصر الاموي . وهي في العصر الاموي ، وصدر الاسلام ، أفسح مجالاً منها في الجاهلية يوم كانت منعزلة في زوايا الجزيرة . وقس على ذلك حالها في الجاهلية الآخرة بالنسبة الى حالها في الجاهلة الاولى .

وبالجملة فان اللغة تنبسط بانبساط اهلها في الحضارة والعمران ، وتنقبض بانقباضهم . وترتقي بارتقائهم ، وتنخفض بانخفاضهم . وهي — بعد — كائن حي معروض لعوامل التركيب والتحليل . والتجدد والدثور . وسائر العوامل التي تخضع لها الاحياء من هذا القبيل . واهم علائم الحياة في اللغة نشاط عاملي التجدد والدثور في بنيتها كالانسان في عنفوان شبابه . فتستغني عن الفاظ وتراكيب ، وتضم الى نفسها الفاظاً وتراكيب ، حسبما تقضي به عوامل النشوء والارتقاء ، او كما يقولون : حسبما يتطلبه قانون الانتخاب الطبيعي . ومن هذا نعلم ان لغة العرب اليوم تختلف عنها بالامس .

٤ — وليس في مقدور الباحث اليوم ان يحيط علماً بكل ماتقلبت عليه هذه اللغة من أطوار التهذيب ، ومامرت به من عوامل النماء ، والتوسيع . ولكن يمكن ان يقال على سبيل الاجمال أن أطوار تهذيبها وعوامل نمائها وتوسيعها ، تابعة لتطور أحوال المتكلمين بها . فاذا علمنا — مثلاً — ان دولة حمورابي التي وصلت الى ماوصلت اليه من رفعة الشأن ، والتبسط في العمران — عربية النجار ، نعلم عند ذاك ان هذه اللغة نالت على عهد هذه الدولة قسطها من التهذيب والنماء يقدّران بمقدار ما أحرزته تلك الدولة من سعة العمران ، وقوة السلطان . ويقال مثل ذلك في الدول العربية الاخرى ، التي ظهرت لمع من اخبارها من خلال غبار العصور الخالية ؛ مثل دولة العماليق في مصر المعروفة عند اليونان بأسم (الهيكسوس) . ومثل دولة معين في اليمن ، وسائر الدول اليمانية التي تبسطت في الفتوح ، وتوسعت في الحضارة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن هذا يتبين ان معرفة اطوار التهذيب لهذه اللغة تستمد من تاريخ الامة العربية فلنترك هذا الجانب للباحث في تاريخ العرب . على انه لا يفوتنا ان اطوار التهذيب ليست قاصرة على ماتتقلب عليه الامة من الاحوال السياسية . بل هناك تطورات لها شأنها خارجة عن هذه . منها : اتصال العرب بغيرهم بالمجاورة ، والمتاجرة ، وما الى ذلك . ومنها انتشار القبائل في انحاء الجزيرة ، وانفراد كل قبيل بمحاسن من القول يغبطه عليها القبيل الآخر . ومنها الأسواق المشهورة ، والمجامع المذكورة . مثل عكاظ . ومجنة . وذي المجاز . ومنها ، الحج . وغير ذلك من المجتمعات .

هذا أمر تطورها في الجاهلية وأما في الاسلام فلأطوار التهذيب تاريخ واضح المنهج . سنلم به في غير هذا الموطن ان شاء الله تعالى .

٥ — أما عوامل النماء في اللغة فكثيرة أهمها : الاشتقاق ، والنحت ، والقلب ، والابدال ، والاشتراك ، والتضاد ، والترادف ، والمجاز ، والكناية ، والاصطلاح ، والتوليد ، والتعريب ...

واذا أنعمت النظر في هذه العوامل تجدها على قسمين : قسم منها يرجع الى بنية اللغة مثل الاشتقاق . وقسم تستمده اللغة من الخارج مثل التعريب . وهذا أشبه شيء بكيفية نماء الاجسام الحية . فان وسائل نمائها على درجتين : الاولى تمثيل الأغذية التي تستمدها من الخارج . والثانية تحصل بتكاثر الخليات بانقسام الواحدة منها الى اثنتين . ثم انقسام كل من الاثنتين وهكذا ...

١ — الاشتقاق :

يقول الصرفيون : ان الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها في أصل المادة والمعنى ، ليدل بالثانية على المعنى الاصلي ، مع زيادة مفيدة ، لاجلها اختلفت حروفها ، أو حركاتها أو هما معاً ، مثل كتب من الكتابة ، وقرأ من القراءة . وبعبارة أخرى : هو رد لفظ الى آخر لمناسبة بينهما في المعنى والحروف الاصلية .

وقد ذكروا له نوعين : الاول الاشتقاق الأصغر وهو المشهور بين علماء العربية . واذا أطلق الاشتقاق ينصرف اليه . والثاني الاشتقاق الاكبر . وأهم مميزاته عن سابقه انه لا يشترط فيه الترتيب في الحروف بين المشتق والمشتق منه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمذهب المعول عليه بين علماء العربية ان الكلم بعضه مشتق وبعضه غير مشتق ، وذهبت طائفة من المتأخرين الى ان الكلم كله مشتق . وهذا مذهب غير مفهوم لانه لو كانت كل لفظة فرعًا من غيرها للزم الا يكون هناك أصل ، وهذا محال . اللهم الا اذا قالوا : ان المراد بذلك ان الكلمة لاتخلو من احد أمرين : اما ان تكون مشتقة أو مشتقًا منها . فحينئذ يمكن ان يذكر قولهم هذا مع الأقوال . ويحتمل المناقشة والجدال ، وتذهب طائفة ثالثة الى انه ليس هناك اشتقاق ما وان الألفاظ كلها أصل ، وهو قول بعيد عن التحقيق .

ثم ان التغييرات بين المشتق والمشتق منه في الاشتقاق الأصغر تنحصر في وجوه : الاول — زيادة حركة في المشتق مثل (عَلِم) من (العِلْم) . الثاني — زيادة حرف فيه مثل (طالب) من (الطلب) . الثالث — زيادة حركة وحرف معًا مثل (ضارب) من (الضرب) . الرابع — نقص حركة منه (كالفرس) من (الفرس) . الخامس — نقص حرف منه مثل (ثبت) من (الثبات) . السادس — نقص حركة وحرف معًا مثل (نزا) من (النزوان) . السابع) نقص حركة وزيادة حرف مثل (غضبي) من (الغضب) . الثامن — زيادة حركة ونقص حرف مثل (حُرم) من (الحرمان) . التاسع — زيادة حركة وحرف ونقصها مثل (استنوق) من (الناقة) . العاشر — تغاير الحركتين مثل (بَطِر) من (البطر) . الحادي عشر — نقص حركة وزيادة أخرى وحرف ، مثل (اضرب) من (الضرب) . الثاني عشر — نقص حرف وزيادة آخر ، مثل (راضع) من (الرضاعة) . الثالث عشر — نقص حرف وزيادة آخر وحركة ، مثل (خاف) من (الخوف) . الرابع عشر — نقص حركة وحرف وزيادة حركة فقط ، مثل (عِدْ) من (الوعد) فان فيه نقص الواو وحركتها وكسر العين بعد ان كانت ساكنة . الخامس عشر — نقص حركة وحرف وزيادة حرف ، مثل (فاخر) من (الفخار) .

وانما أشرنا الى هذه التغيرات المتنوعة لندل على مافي هذا الباب من السعة ، وانه من أكبر الأبواب التي تنهض باللغة وتمدها بمعين لا ينضب .

اما الاشتقاق الاكبر فيشترط فيه حفظ أصل المادة دون تقلبات الهيئة ، مثل تقليب مادة (ق و ل) على وجوهها الستة المحتملة : ولق . لقو . . . الخ وهي في كل هذه التصاريف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تدل على الخفة والسرعة . قال ابوحيان النحوي : وهذا مما ابتدعه الامام ابوالفتح بن جني . وكان شيخه ابوعلي الفارسي يأنس به في بعض المواضع .

والذي يتقرى كلم اللغة العربية بانعام نظر ، يجد ان لمعظم موادها اصلاً يرجع اليه كثير من كلماته ان لم نقل كلها ، خذ على ذلك مادة (ف ل) ومايثلثهما تجد الجميع تدور حول معنى الشق والفتح . مثل : فلح ، فلج ، فلع ، فلق ، فلذ ، فلي . ومثل ذلك مادة (ق ط) وما يثلثهما تقول : قط ، قطع ، قطر ، قطف ، قطن ... الخ وكلها بمعنى لانفصال .

وأول من فتح باب هذا النوع من الاشتقاق ابو الفتح ايضاً ، وللعلامة الزمخشري ولوع فيه ، تجد ذلك كثيراً في كشافه ، ويذهب بعض اللغويين الى أن هذا الأصل جارٍ في كل تراكيب المواد اللغوية ولو بضرب من التأويل الا قليلاً . وهذا مذهب لايخلو من المبالغة ، اذ ان كثيراً من مفردات اللغة دخل عليها من لغات أخرى ثم صار مع الزمان كأنه منها في الصميم . ولايمكن في حال من الأحوال ان يرد الى أصل من أصولها . وللغفلة عن هذه الناحية نجد الكثير من اللغويين يتمحلون لبعض الكلمات اشتقاقات أقل مايقال فيها انها من المضحكات . حكي عن بعضهم انه سئل عن اشتقاق الجرجير — نوع من النبات — فقال : سمي بذلك لان الريح تجرجره اي تجره . وسئل عن اشتقاق الجرة ، فقال : لانها تجر على الارض . ويقول انما سمي الثور ثوراً لانه يثير الارض للحرث ، الى أمثال هذا الهذيان والأعجب ان بعضهم يتكلف للأعلام العجمية ضروباً من الاشتقاق تتقاطر السخافة من أطرافها . ولا نعدم في هذا العصر أناساً من هذا القبيل . فقد بلغني ان بعضهم سئل عن البنجرة — وهي كلمة يستعملها الأتراك للنافذة — فقال : انها من فنجر الرجل اذا فتح عينيه ، لان النافذة تكون مفتوحة ، فاقرأ واعجب .

ولمكانة هذا الباب في علم العربية أفردوه بالتأليف وأحاطوه بالعناية الواسعة ، وممن الف فيه الأصمعي ، ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب ، وابوالحسن الأخفش ، وابونصر الباهلي ، والمفضل بن سلمة ، والمبرد ، وابن دريد ، والزجاج ، وابن السراج ، والرماني ، وابن النحاس ، وابن خالويه وغيرهم . هذا زيادة على ماجاء به الصرفيون في كتبهم من التحقيق والتمحيص . وأكبرهم عناية في ذلك امام الصرفيين وسندهم ابو الفتح بن جني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الموصلي . وقد ألف فيه بعض المعاصرين من أعلام الشام كتاباً نفيساً يعدُّ آية في بابه . هذا وان العصر الذي نحن فيه يتطلب من هذا الباب فضل توسع ، وبذل عناية ، لأن المعاني الجديدة المتدفقة ، والمبدعات العصرية المتكاثرة ، تتطلب من الألفاظ ما تعيا به مفردات اللغة اذا لم تفزع الى هذا الباب فتوسع منه ما ضيقه غلاة المحافظين ، ثم تستمد منه العون ، فتجد منه خير معين وأقوى نصير .

ثم ان هذا الباب أوسع من ان يحاط به في مثل هذه العجالة ، ولكنا نظرنا اليه من بعض نواحيه التي تتعلق بموضوعنا وتركنا التفاصيل للكتب الموضوعة فيه .

٢ — النحت :

قد يعمد العربي الى كلمتين فأكثر ، فيقتطع منها حروفاً يؤلف منها كلمة جديدة يدل بها على مجموع المركب الذي اقتطعت منه ، أو على معنى آخر قريب من معنى ما اقتطعت منه ، فيقول في النسبة الى عبد شمس ، عبشمي — مثلاً — كما يقول : (بسمل) يريد انه قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويسمون العجوز الضخابة الكثيرة الهذر : صهصلق ، أخذاً من (صهل) ، و (صلق) ، بمعنى صات صوتاً شديداً .

وقد أطلق علماء العربية على هذا النوع من العمل اللغوي النحت ، لان العربي ينحت من الكلمتين كلمة ، وفي هذا العمل من الفوائد مافيه مما يرمي الى امداد اللغة بالثراء ، زيادة على مافيه من الاختصار بكون الكلمة الجديدة تدل على جملة من القول ، فقولنا: (بسمل) مثلاً أخصر بكثير من قولنا : قال بسم الله الرحمن الرحيم .

ولم يضع له الأوائل قواعد واضحة ، ولذلك اعتبره بعض النحاة سماعياً ، وقل الاعتماد عليه عند المتأخرين من العلماء ويظهر من كلام ابن مالك في تسهيله انه يعتبر هذا الباب قياسياً في باب النسبة ، ولكن ابا حيان أنكر عليه ذلك وقال ان هذا الحكم لا يطرد ، وانما يقال منه ماقالته العرب فقط والمحفوظ منه — عند ابي حيان — عبشمي ، في النسبة الى عبد شمس . وعبدري ، في عبد الدار . ومرقسي ، في امرئ القيس . وعبقسي ، في عبد القيس . وتيملي ، في تيم الله . هذا ما أورده ابو حيان من المسموع في باب النسبة من المنحوت . ومعلوم ان النحت في غير باب النسبة أكثر منه في بابها فقد قالوا هلل ، وأكثر من الهيللة ، اذا قال : لا اله الا الله ، وحولق ، وأكثر من الحولقة ، وحوقل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(انكر بعضهم ان يقال حوقل . وعده من الغلط وليس بشيء لانه جرى على ألسنة كبار اللغويين . ومن حفظ حجة على من لم يحفظ) واكثر من الحوقلة . اذا قال : لاحول ولا قوة الا بالله . ومنه حمدل حمدلة : قال : الحمد لله . وحسبل حسبلة ، قال : حسبي الله . وحيعل حيعلة قال : حي على الصلاة . حي على الفلاح . وحي على كذا . قال الشاعر :

اقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك حيعلة المنادي

وجعفد جعفدة . قال : جعلت فداك . ودمعزة دمعزة قال : دام عزك وطلبق طلبقة . قال : اطال الله بقاك . ومشكن مشكنة . قال : ما شاء الله كان . وكبتع كبتعة . قال : كبت الله عدوك . وسمعل سمعلة . قال : السلام عليكم وقالوا : حبرم القدر اذا وضع فيها حب الرمان . وامثلة ذلك كثيرة . حتى ذهب ابن فارس وجماعة من المحققين الى ان الاسماء الزائدة على ثلاثة احرف اكثرها منحوت . مثل قول العرب : رجل (ضبطر) أي شديد . أو ضخم مكتنز اللحم منحوت من ضبط وضبر . بمعنى اشتد خلقه وتوثق . قال : ومنه اسد (صلدم) ورجل صلدم أي صلب . منحوت من . صلد وصدم . (وبعثر) منحوت من بعث واثير . (وبحثر) من بحث واثار .

ويرى الخليل ان النحت يجيء في الحروف . قال : اصل لن . (لاأن) فخففت فصارت لن وقد حدث لها بالتركيب معنى جديد في الجملة ...

وللنحت يد سموح في امداد اللغة بالثروة ، ولاسيما لغة العلم . ولكن بعض المتأخرين من النحويين . حالوا بين أهل العلم وبينه بقولهم انه باب سماعي ، وبذلك أوصدوه في وجوه القوم على حين الحاجة ماسة الى فتحه وتوسيعه بقدر المستطاع لمعالجة الفاقة اللغوية تجاه المعاني العلمية التي فاض فيضها وعب تيارها في هذا العصر .

مالنا وللمتشددين من متأخري النحاة الذين كلما انفتح امام اللغة العربية باب تتنفس منه هرعوا اليه وسدوه على زعم انهم يخدمونها بالمحافظة عليها وسد مسالك العجمة عنها وماأشبه عملهم هذا بعمل تلك الصينية التي تضع قدميها في زوجي خف من الحديد للمحافظة على غضارتها وجمالها ، ولم تدر انها سوف يأتي عليها زمن تفقد فيه هاتان القدمان قوتهما وتعجزان عن القيام بوظائفهما ، وكذلك شأن اللغة عند هذا الفريق من القوم يوصدون عليها أبواب القياس ويأخذون عليها مجامع الطرق على زعم انهم يحرسونها ويحافظون على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نضارتها ويبقون على غضارتها ، وفاتهم أنهم بهذا الصنيع يعملون على إماتتها بإماتة عناصر الحياة فيها ، وابعاد عوامل النماء عنها ، وانهم لا يزالون يضيقون عليها السبل حتى يقول المرجفون والذين في قلوبهم مرض انها أصبحت لغة مصابة بفقر الدم ، وذبول الخليات ، ومنيت بسائر أعراض الهرم فصارت عاجزة عن ان يتسع صدرها للمعاني الجديدة المتكاثرة والعلوم العصرية المتدفقة بالمصطلحات وبذلك يسجلون عليها عجزها وهي غير عاجزة وفقرها وهي غير فقيرة ، وانما العجز في نفوس الذين يزعمون انهم قائمون على خدمتها ، وهم في وأدها مشتغلون ، والفقر في تفكيرهم ، ولكنهم لا يعلمون .

٣ — القلب :

هو تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ، وبذلك تتولد كلمة جديدة تتفق مع أصلها في مادة الحروف وتختلف عنها في الترتيب مثل : صاعقة ، وصاقعة ، وخطيب مصقع ، ومصقع ، ويئس وأيس ، وعاث في الارض ، وعثا فيها ، وأثول ، والوث ، ونزغ الشيطان بينهم ، ونغز ، وهو يتسكع ويتكسع اذا تحير ، ومرزاب السطح ، ومزراب ، وكلام وحشي ، وحوشي ، وهم الأوباش والأوشاب ، اي الأخلاط من الناس .

وأمثلة هذا الباب كثيرة ذكر منها الجلال السيوطي في المزهر جملة صالحة ، وقد ألف فيه ابن السكيت كتاباً خاصاً ، وعقد له ابن دريد في جمهرته باباً على حدته ، وكذلك فعل ابو عبيد في كتاب الغريب المصنف .

وليس في هذا الباب كبير فائدة من حيث الثروة للغوية الا من ناحية الالفاظ ، اما المعاني فانها لا تتكثر به ، اذ المقلوب والمقلوب عنه يدلان على معنى واحد ، فان جذب ، وجبذ ، يدلان على معنى واحد وان تعددا لفظاً .

ويذهب البصريون من النحويين الى ان معظم ما يسميه اللغويون قلباً ليس به ، وانما هو من باب تعدد اللغات . فجبذ عندهم - مثلاً — لغة قبيلة وجذب لغة قبيلة أخرى . وعلى هذا يكون الكثير مما يظنون ان القلب قد دخله ليس بذاك . ولا يتحقق القلب عند هؤلاء الا اذا تم لاحدى اللفظتين من التصاريف مالم يتم للأخرى ، فعندئذ يعتبرون اللفظة ذات التصريف التام أصلاً وذات التصريف الناقص فرعاً ، مثل يئس وأيس فانهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لما وجدوا للاولى منهما مصدراً وهو اليأس ، ولم يجدوه للثانيـة ، قالوا ان الاولى أصل والثانية فرع ، وليس هناك فائدة مهمة من وراء هذا الخلاف الاَّ من وجهة واحدة وهي انه : هل كانت القبيلة الواحدة من العرب تستعمل اللفظين معاً ، أو كانت تستعمل لفظاً واحداً منهما . واللفظ الثاني تستعمله قبيلة أُخرى ، سيأتي في باب المترادف مايلقي شيئاً من النور على هذه المسألة لان اللفظين في هذا الباب لايخرجان عن كونهما مترادفين ، سواء قلنا بالقلب أو بتعداد اللغات .

٤ — الابدال :

عرفنا ان القلب نقل حرف من موضعه الى موضع آخر من الكلمة نفسها فتولد من ذلك كلمة جديدة ، وبعبارة أُخرى تصير الكلمة الواحدة كلمتين .

اما الابدال فهو ان ترفع حرفاً وتضع غيره موضعـه ، فتتولد من ذلك كلمة أُخرى تدل على عين ماتدل عليه الاولى من المعنى ، فهو أخو القلب من ناحية أثره في الثروة اللفظية للغة دون المعنوية منها .

وقد اختلفوا فيه كما اختلفوا في القلب فقال فريق المبدل والمبدل منه يقعان في لغة القبيـلة الواحدة ، فالقبيلة التي تقول (صراط) مثلاً هي نفسها التي تقول (سراط) ، ويذهب المحققون الى ان العرب لاتتعمد تعويض حرف من حرف ، وانما هي لغات مختلفة لفظاً ، لقبائل مختلفة ، تدل على معاني متفقة ، بان تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى انهما لايختلفان الا في حرف واحد ، وعلى هذا لاتتكلم القبيلة الواحدة بكلمة (صراط) — مثلاً — طوراً بالصاد وطوراً بالسين ، انما يقول هذا قوم وذاك قوم آخرون .

ومن أمثلة هذا الباب ، قولهم : ضربة لازب ، ولازم ، وتلعثم ، وتلعذم ، والقطر ، والقتر ، للناحية . وجمعها أقطار وأقتار . والحثالة ، والحفالة ، الرديء من كل شيء . والثوم ، والفوم ، وهو الحنطة . واللثام ، واللفام . وبعثر ، وبحثر ، ومدَّ الحرف ، ومطَّه . والثرى ، والبرى ... الخ .

والأمثلة كثيرة تكاد تفوت الحصر ، حتى قال بعض المحققين قلما تجـد حرفاً الا وقد جاء فيه البدل ولو نادراً ، يريد به البدل ، السماعي . اما ما يذكره الصرفيون من ان حروف الابدال تسعة (ء ا ت د ط م ه و ي) فانهم يريدون به الابدال القياسي وهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مفصل في كتبهم وليس من موضوعنا الإفاضة فيه . وللابدال السماعي دواعٍ كثيرة . منها : سهولة النطق باحد الحرفين المبدل أو المبدل منه . ومنهـا — وهو أهمها — البيئة فان لها الأثر البين في تنشئة الألسن ولهذا نجد القبائل اليمانية مثلاً تختلف في كثير من الألفاظ عن القبائل الحجازية ، فان هؤلاء ينطقون السين شيناً فيقولون النـاس مثلاً ، واولئك يقلبونها تاءً فيقولون النات ، وهؤلاء يقولون : لبيك وسعديك — مثلاً — واولئك يقولون : لبيش وسعديش ، بقلب الكاف شيناً ، وهي شنشنتهم .

وسنعرض لهذا البحث في باب اختلاف لغات القبائل ونمنحه فضل ايضاح ان شاء الله تعالى .

« للبحث صلة »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

— ٩ —

ومن يقصد قصر ابن وردان عن طريق الحمراء يغادر سلمية نحو الشمال فيرى على يساره ضريح الشيخ فرج الذي تقدم ذكره ومرجاً فيح يدعى مرج الخصيمية كان ولا يزال منزل اعراب هذه الديار كما ان بعض الملوك والامراء الذين كانوا يأتون للاستيلاء على سلمية او حماة ينزلون بجيوشهم فيه . منهم سيف الدولة بن حمدان في سنة ٣٤٤ لما جاء موحارب الأعراب الذين ثاروا عليه كما قدمنا والملك المعظم عيسى بن العادل بن ايوب ملك دمشق لما جاء في سنة ٦٢١ لمحاصرة ابن أخته الملك الناصر ملك حماة ، ثم اخوه الملك الكامل ملك مصر لما جاء في سنة ٦٢٦ لمحاصرة الملك الناصر المذكور ايضاً ، ثم تيمورلنك طاغية التتر في سنة ٨٠٣ جاء الى هنا بعد ان خرب حلب وبعث بفرقة من جيشه لتخريب حماة وقلعتها ثم قصد دمشق . ويرى السائر قرية تل اعدا وكانت مقر الامير مهنا بن عيسى الذي تقدم ذكره وفي شرقيها ذيل العجل وفي شماليها تل سنان واهل هذه القرى الثلاث في يومنا شركس . وفي غربي تل اعدا بطيحة صغيرة يحصل فيها ملح ناصع البياض لولا انه قليل المرارة ينشأ من توافد مياه القنى وسيول القرى المجاورة في الشرق والشمال في فصل الشتاء واجتماعها في هذه البطيحة التي في قعرها معدن الملح . ويقدرون كمية مايمكن ان يجنى منها في السنة بخمسة آلاف قنطار لولا ان الحكومة مانعة ذلك منعاً باتاً وقايةً للملح الجبول . فيقوم بهذا المنع حراس مدة فصل الصيف الى ان تفد السيول المذكورة وتذيبه وتحمله اذا فاضت الى مرج الخصيمية فعين الزرقاء فالأودية الذاهبة الى العاصي . هذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويرى السائر على يمينه من الضياع جصين والبويض واللالا والربيعة وعلى يساره الدوسة وخنيفس والشهيب والشهبا والرُحيّة . وفي شمالي الرحية هضبة عالية فوقها قلعة قديمة خراب تدعى « قلعة الرحية » لعلها من الحصون التي شيدها الرومان على طرف البرية لمنع البادية من العيث . يصل اليها الصاعد من طريق في غربيها فيرى بابها الذي لم يبق منه سوى عضادتيه وعتبته . وفناء هذه القلعة رحب لا يقل عن نصف هكتار كان حوله سور ضخم بقيت منه أسسه وفي وسطه أطلال دارسة وأحجار وأعمدة مبعثرة وكلها من الحجارة السوداء وبئر ذات فوهة واسعة مردومة على ان العمق الظاهر منها الآن لا يقل عن الخمسين متراً . وبعد خمسة كيلومترات من هذه القلعة يصل السائر الى ثكنة الحمراء الخراب وهي من عهد السلطان عبد الحميد أقام فيها جنوداً يربون المهار المعدة لفرسان الجيش في المرج الافيح الذي في غربي الثكنة ويحفظون هذه البراري والضياع القائمة فيها وكلها كانت ومن أملاك هذا السلطان الخاصة ، ثم انتقلت بعد خلعه في سنة ١٣٢٧ الى بيت مال الدولة العثمانية وبعد ان زالت هذه الدولة عقيب الحرب العامة في سنة ١٣٣٧ انتقلت الى بيت مال دولة الشام . وهذه الاملاك كثيرة ومنتشرة في شرقي حلب وجنوبيها وشرقي الحمراء وسلمية وحمص تعد نحو ثمانمائة قرية وضيعة يقطن ما كان منها في الشمال حول حلب والحمراء أعراب من قبائل وأفخاذ شتى تركوا سكنى المضارب وبنوا القباب وانصرفوا الى الحرث والزرع ويقطن ما كان منها في الجنوب شرقي سلمية وحمص قليل من الاسماعيلية وكثير من النصيرية . وقد كانت هذه القرى والضياع في زمن هذا السلطان عزيزة الجانب ينعم فلاحوها باحسن أمن وأجمل رعاية لانه منع عنها عيث البادية بفضل الثكنات والمخافر التي وضعها على حدود الحاضرة — كثكنة الحمراء وثكنة جب الجراح في سفح جبل الشومرية شرقي حمص ومخافر سعن الشجرة وتل الأغر وعقيربات السويد والفرقلس والمخرّم — واعفى فلاحيه من الجندية والتكاليف الاميرية فعمرت اذذاك هذه القرى والضياع بعد ان ظلت خراباً بضعة قرون . وما ان خلع هذا السلطان حتى زالت تلك الرعاية الا قليلاً ، ولما تقلص ظل الدولة العثمانية من ربوع الشام ونشبت فتن قبيلتي الموالي والحديديين خربت ضياع الحمراء وجلها مما يقطنه فنود هاتين القبيلتين وما ان يصطلحا ويرجع الجفال الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مواطنهم ومزارعهم ويعمروها حتى تنشب الفتنة ثانية فتعود للخراب وهكذا دواليك .

وفي القسم السالم من ثكنة الحمراء أقاموا في يومنا مخفراً فيه بضعة جنود من الدرك يعززونهم بقوة كافية عند اللزوم ، وثمة حوش شبه الحظيرة لرجل حموي يستغل قسماً من مرج الحمراء بالحرث والزرع ويعمل مثله فلاحو قريتي الحمراء ورأس عين الحمراء المجاورتين .

وبعد مغادرة ثكنة الحمراء يتجه السائر نحو الشمال الشرقي فيرى على يمينه من الضياع اللالا وجناة الصوارنة وأصل أهلها من صوران التي تقدم ذكرها في بحث طريق شيزر وحماة ، والشيحاو وعلى يساره تل محصر ومويلح الصوارنة وابوعجوة فقصر ابن وردان الواقف وسط هذه البراري الشاسعة كأنه رمز العظمة والخلود .

لما تسنى لي زيارة هذا القصر وخربة الأندرين في خريف سنة ١٣٤٥ ورجعت الى دمشق أنقب في كتبنا العربية لعلي أجد ذكراً لهما لم أعثر الا على بضعة أسطر عن الاندرين قالها ياقوت في معجمه سأنقلها في موضعها . اما قصر ابن وردان فلم يذكره ياقوت ولاغيره فاضطررت اذ ذاك لسؤال المرحوم الأب لويس شيخو فأجابني في مجلة المشرق «عدد نيسان سنة ١٩٢٧» ان اول من وصف قصر بن وردان الاستاذ موردتمان في المجلة الاثرية الكتابية الالمانية المطبوعة في النمسا سنة ١٨٨٤ ثم عاد بعده غيره من السياح كاوستروب وهرتمان وفون اوبنهايم وستريغوفسكي فوصفوه ونشروا صوره . على ان هذا الوصف قد جاء واسعاً مستوفى مع نقوش وتصاوير بديعة في منشورات البعثة الاميركانية في جامعة برنستون بالانكليزية في القسم الثاني المطبوع في ليدن في هولاندة سنة ١٩٢٠ ص ٢٥ ٤٥ ووصف خربة الأندرين في الكتاب المذكور ص ٤٧ — ٦٣ اه . قلت لم أتمكن من الاطلاع على المجلة والمنشورات التي ذكرها الأب شيخو ولعل الخلاصة الموجودة في الدليل الازرق لمونمارشه مأخوذة عنها فجعلتها عمدتي في بيان ما يلي :

يتألف هذا القصر من ثلاثة أبنية لاتماثل قط بقية المباني التاريخية في بلاد الشام ، وتعزى مكانتها على ماقاله الاثريون الى ان بناءها وخاصةً امتزاج الاحجار والواح الآجر يختلف عن الطراز المعروف في فن البناء السوري ويقترب من طراز المباني الملوكية في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القسطنطينية في عهد يوستنيانوس[1] ويرجحون ان بانيها المهندس ايزيدور ، وشبه دوسو هذه الابنية من حيث التركيب ومزج المواد لما في قصر المشتى في شرقي الاردن .

والابنية الثلاثة تشمل كنيسة كبيرة ثم قصراً عظيماً وكان كلاهما حينما زرتها سالماً بعض السلامة ، وثمة بناء عسكري واسع خراب بالمرة ولعله كان ثكنة . وأجل هذه الابنية القصر وهو واسع الأركان ذو طابقين عاليين في الاول منهما أروقة طويلة كل منها مؤلف من صفين من الغرف يتصل بعضها ببعض . وقد شيد هذا القصر ومثله بقية المباني بالاحجار الحرّيّة السود وبالواح من الآجر كبيرة صفراء غاية في الصلابة والجودة ودعمت بملاط قوي . وثمة أحجار جيرية بيضاء واعمدة من الرخام بنيت بها الاقسام الداخلية وعلى أسكفة احد أبواب القصر كتابة يونانية تاريخها ٥٦١ ميلادية وأخرى في موضع ثان تاريخها ٥٦٤ في عهد الامبراطور يوستنيان . وقد تداعى معظم جدران الطابقين والاقسام الداخلية ونقضت الاحجار والاعمدة ولم يبق في الطابقين سالماً الا الواجهة الجنوبية وبعض الابهاء ذات القباب وبعض النوافذ وبقي في الواجهة الغربية قسم من القباب وعضادتان ضخمتان احداهما مزدوجة . فالقصر في الجملة أخنى عليه الذي أخنى على لبد . اما الكنيسة فقد كانت ذات بناء عظيم له ايقونستاس وهو رواق فوقاني ذو ثلاث قناطر يشرف على

(١) دام حكم هذا الامبراطور من سنة ٥٢٧ الى ٥٦٥ م وكان كثير السهر شديد الريبة من حاشيته ، فتح فتوحات عظيمة وأخضع ممالك الشرق والغرب التي كانت على وشك الانفصال عن بلاده وأعاد مجد الرومان ، وكان يقدر العدل والنظام ، أمر بجمع زبدة الشرائع الرومانية السابقة وحشرها في قانون واحد دعاه باسمه ، وكان عمرانياً شيّد كثيراً من الحصون وقناطر الماء والحمامات والمستشفيات والديارات والكنائس والقصور الفخمة ، أجلها وأعظمها كنيسة أياصوفيا في القسطنطينية ، بناها له المهندسان الآميا ويان ايزيدور وآنثيموس ، (وفي الشام ينسب اليه قصر ابن وردان ودير سيدة صيدنايا ولعله بنى غيرهما ايضاً) ، الا ان تلك الحروب العظيمة والمباني الجسيمة أثقلت كاهل الشعب الروماني وأضنته ولما مات يوستنيانوس لم يؤسف عليه ، وسع بلاده وعمرها لكنه ابتز ضرعها وغادرها فقيرة بالانفس والاموال . (عن تاريخ العصور الوسطى لماله وايساق الافرنسيين) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

داخلها . وكان على الكنيسة قبة عالية ركبت على قناطر تستند على دعائم ضخمة ولا تزال بعض جدران طابقها التحتاني والايقونستاس الفوقاني وقسم من نصف القبة وقنطرتها الكبرى ماثلة وصحن الكنيسة متطاول ينتهي بحنية مدورة وثمة صحون تالية تمتد في كل جانب . والثكنة التي خرب معظمها ذات شكل مستطيل وكان لها سوران بينهما غرف ذات قبب ، وفي داخلها فناء رحب في وسطه بناء عال ذو طابقين وقبب عديدة . ولا يمكن الزائر ان يميز في هذه الثكنة الا باب مدخلها الكبير وهو في شماليها وعلى اسكفته كتابة كبيرة والزاوية الشمالية الشرقية للسور الخارجي وبضعة أقسام من البناء المتوسط .

ومن الغريب ان هذا القصر الفخم المبني قبل الاسلام لم يذكره احد من جغرافيي العرب ولا ياقوت الذي ذكر قصوراً عديدة أقل منه شأناً لذا فقد غمض علينا معرفة ابن وردان الذي نسب اليه هذا القصر وفي اي عهد كان ومن رفه فيه وبذخ ثم متى وكيف بدأ خرابه وقد قيل ان معظم ذلك حدث في عهد السلطان عبد الحميد حينما أمر بانشاء ثكنة الحمراء فنقلت الجنود احجاره اليها ثم أجهز الجوار على مابقي حتى أصبح على ما وصفناه وهم مازالوا على هذا الاجهاز دائبين ويالاسف . ومن الغريب ايضاً ان عمال يوستنيانوس الذين بنوا هذا القصر وتوابعه كيف انتقوا هذه الاماكن النائية عن حماة نحو ٦٠ وعن سلمية ٤٦ كيلومتراً وعنوا بحسن هندستها وزخرفها أكان ذلك لجمال هذه البراري وهي في يومنا أشبه بالفلوات خلوها من الخضار والأشجار قل ان استتب فيها الأمن في العصور الغابرة ان غلت سنتين او ثلاث بارت سنين وما زال هذا شأنها حتى يومنا الا قليلاً — أم لعمران القرى التي حولها وكلها الآن ضياع حقيرة لاتدل رسومها وآثارها على انها كانت من الكبر بحيث تستحق وجود مثل هذا القصر ومشتملاته ؟ هذا وعلى مقربة من القصر ضويعة ذات قباب يعمل أصحابها على إخراج قناة قديمة في أراضيها وثمة في الاطراف من الضياع الصغيرة رسم الورد ورسم عيزى وابو خنادق وابو عجوة والشيحاو العطشانة والمنطار وخربتي المصيطبة والثروت .

والسائر من قصر ابن وردان الى الأندرين يجتاز نحو الشمال الشرقي ٢٥ كيلومتراً جلها منبسطات محصاة وتلعات يكثر فيها الشيح والقيصوم والروثة وغيرها من نباتات البادية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويتخللها أودية فيها زروع ضئيلة قليلة المساحة لبعد هذه الربوع وضعف زراعيها وهم من صعاليك العربان الحاضرة ، ويرى السائر في طريقه خرائب ورسوماً لا يحوى جلها الا قليلاً من الخيم او القباب منها على اليمين رسم الورد وعلى الشمال رسم عيزي والخطابية والجنينة والحنية وتفاحة وحومى الى ان يوافي الاندرين . تقع هذه البلدة الخراب وسط برية منبسطة شاسعة يحدها شمالاً جبل الاحص الممتد جنوبي حلب وفي سفحه الجنوبي الشرقي قرية خناصرة التي كانت مصيف الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز وغربا مماح وبطائح تمتد الى قرية خرايج الشحم وشرقاً البادية المترامية الأطراف نحو دير الزور وما وراءه وجنوبا السباسب التي تنتهي عند أرياف قصر ابن وردان وسعن وسعين او سعن الشجرة وبغيديد وهذه ورد اسمها في صبح الاعشى للقلقشندي في ذكر طريق جعبر ، وفي معجم ياقوت وقد عدها من قرى حلب .

واليك ماقاله ياقوت عن الأندرين : أندرين اسم قرية في جنوبي حلب بينهما مسيرة يوم للراكب في طرف البرية ليس بعدها عمارة وهي الآن خراب ليس بها الا بقية الجدران واياها عني عمرو بن كلثوم بقوله :

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

وهذا مما لا شك فيه . وقد سألت عنه اهل المعرفة من اهل حلب فكل وافق عليه وقد تكلف جماعة اللغويين لما لم يعرفوا حقيقة اسم هذه القرية والجأتهم الحيرة الى ان شرحوا هذه اللفظة من هذا البيت بضروب من الشرح . . . الخ اه . قلت وقد أتيح لي في خريف سنة ١٣٤٥ زيارة هذه البلدة البيزنطية التي ما برحت خراباً يباباً منذ الفتح الاسلامي على مايظن وتجولت بين كنائسها السبع وأطلالها ورسومها التي مابرح بعضها ماثلاً وبعضها هدم وأصبح ركاماً أو طمر تحت الرمال السافيات . ولما لم أجد في كتبنا العربية بحثاً عن الاندرين سوى ما نقلته آنفاً عن ياقوت وهو لا ينقع غلة من الناحية الاثرية رجعت الى كتب مستشرقي الافرنج فوجدت مونمارشه في دليله الازرق يقول :

الاندرين وكان اسمها قديماً Androna بليدة تمتد أحياؤها ومبانيها في ساحة كبيرة لم يبق منها الآن سوى الانقاض المركومة والاطلال الميدومة وجلها من الحجر الحري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعضها من الآجر المشوي . وهذه الأنقاض والأطلال تدل على ان الاندرين كانت بليدةً بيزنطيةً مسورة لاتزال خططها ماثلة كما كانت حينما هجرها قطانها في عهد نظنه عهد الفتح العربي . وحينما يقترب السائح من هذه البليدة يرى أبنيةً تشبه الابراج شيدت بالحجارة الحربة السود تظهر منفردةً أو مجتمعة في أحياء مختلفة ، وكانت هذه الأبراج في زوايا جدران المباني العظيمة التي أضحت أنقاضاً مركومة . اما المباني التي لاتزال أنقاضها كثيرة فهي الثكنات وهذه جدران طوابقها السفلى ما برحت قائمة على انها مدفونة تحت أنقاض الطوابق العليا ثم كنيسة عظيمة ولعلها الكاتدرائية ثم كنيسة في جنوبي البلدة يحيط بها جدار ثخين ثم خزان ماء جسيم . ولا يزال ثمة كميات عظيمة من أنقاض المباني التي شيدت بالآجر المشوي يصعب البحث عنها وهناك كنيستان متجاورتان مخصصتان الى الملائكة العلويين وأخرى قرب الجدار الشرقي وواحدة أصغر في الجنوب الشرقي من الثكنات ومذبحان احدهما مربع الشكل كان له قبة والثاني كان مستطيلاً ، وتجاه الثكنات بناآن لم يشيدا على مخططات منتظمة احدهما تظهر فيه غرفة مدورة واخرى متطاولة منتهاها على شكل نصف دائرة مما يدل على انه كان حماماً . وثمة كثير من الخرائب وأنقاض الدور الخاصة كان معظمها على ما يظهر مبنياً حول فناء رحب ، وفي بعض هذه الأفنية أحواض محفورة . وثمة ايضاً طريقان احدهما من الشمال الى الجنوب والثاني من الشرق الى الغرب كانا يتقاطعان في منتصف هذه البلدة . وسور الاندرين لايزال سالماً في كثير من الاماكن وتظهر منه أبراج مربعة عادية وأبراج مزواة . والسور مبني باحجار ضخمة مستطيلة الشكل وقد دعموه بعضائد في كل ٣ — ٤ أمتار .

والثكنات تؤلف في وسط المدينة بناءً مربع الشكل يبلغ طول احدى واجهاته ثمانين متراً تنم هيأته على انه مكان عسكري . ولهذا البناء مدخل واحد في الجهة الغربية وأبراج مزواة سداسية الاضلاع وأخرى مربعة في وسط الجهات الشمالية والغربية . وفي وسط الفناء الواسع في هذه الثكنة شيدت كنيسة ابعادها ٢٠×١٥ متراً . والكاتدرائية وهي كنيسة الاندرين العظمى موجودة في الجهة الجنوبية الغربية من الثكنة قرب المصلبة التي يلتقي فيها الشارعان الكبيران ، وأنقاضها الباقية تجعلنا نضعها في مصاف النماذج المدرسية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للكنائس العظمى ، لها صحن متوسط عظيم منفصل عن الاجنحة الجانبية بثلاث أقواس محمولة على عضادات متطاولة . والحنية ذات خمس نوافذ وقد هدم معظمها ولم يبق منها الا جدار الشامسة وجداران آخران مع قسم من الصحن المنحني الذي كان بينهما . واكثر مباني الاندرين سلامة هي الكنيسة الجنوبية كان كلها مبنياً بالحجارة الا سقفها فمن الخشب ، وما خلا ذلك كان حول الكنيسة سور خاص مبني بالحجر مع دعائم وأبرج مما يدل على انها كانت كنيسة محصنة مشيدة وسط البلدة . ومرتسم هذه الكنيسة يشبه الكاتدرائية لولا ان انحناء الحنية لايمكن ان يرى من الخارج وليس فيه سوى ثلاث نوافذ . ولا تزال الحنية قائمةً مع الغرف الجانبية حتى الطابق الاول وكذلك دعائمها ، ولكن نصف القبة قد زال بالكلية ، اما القسم الاعظم من الجدار الشمالي فلايزال سالماً وكذلك قسم من الجنوبي والزوايا الغربية للصحن . والدعائم المتصالبة في المنتهى الغربي لهذه الكنيسة محفوظة لكن الجدار والابراج الغربية خربت بالكلية ، وقد بنوا تجاه الغرفة الجانبية الشمالية بناء لا يزال سالماً يظهر انه كان ضريحاً وخارج الكنيسة مستطيل اما داخلها فعلى شكل الصليب .

وفي جنوبي الاندرين وخارج أسوارها خزان ماء مربع الشكل طول كل ضلع فيه ٦١ متراً مبني باحجار الجير بعضها ذو نقوش ورسوم رومانية ، وعمق الخزان لا يربو على خمسة الامتار ولعله كان يبلغ السبعة ابتان مجده ، والقسم الأعلى من الكورنيش يؤلف ممشى عريضاً يدور حول الخزان كله وفي خارجه صف من الاحجار الضخمة مربعة الشكل جعلت لمنع مياه السيول من النفوذ الى الخزان اه . قلت ويصل الماء الى هذا الخزان من قناة عظمى قسمها القريب من الخزان ستر باحجار منحوتة ضخمة وهي تأتي من الجنوب الشرقي من أراضي رسم يدعى أم أميال الشرقي عمرته من عهد قريب جالية من اسماعيلية القدموس وتتصل هذه القناة بأخرى ترد من ارض رسم آخر يدعى ابو الغر يقع في شمالي سعن وسعين وربما بلغ طول القناة الاولى عشرة كيلومترات وفي شمالي الاندرين الى الغرب خزان ثان لم يذكره مونمارشه تصل اليه الماء من قناة آتية من رسم المقطع الواقع في جنوبي الاندرين للغرب وتتصل هذه ايضاً باخرى ترد من الغرب الى ضيعة تدعى التفاحة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وربما زاد طول القناتين على سبعة الكيلومترات ·

والاندرين تتبع ناحية سميت باسمها من أعمال قضاء معرة النعمان المرتبط بولاية حلب · وقد كان احد الحلبيين أحي قبل الحرب العامة قسماً من ارضها الموات وبنى في شمالي الخربة حوشاً فيه قباب عديدة وشرع بالاستثمار الا ان شدائد تلك الحرب الطاحنة وكثرة مرور غزاة البادية من هذه الربوع النائية اضطرته الى ترك العمل · وفي سنة ١٣٤٦ جاء أناس من نصيرية جبال اللاذقية وشرعوا باستثمار ارض الاندرين وفتح قنواتها وتنظيف دورها الخربة وتكبدوا اتعاباً ونفقات جمة الا ان جشع ورثة ذلك الحلبي وتوالي سني المحل وفقدان المعونة فتّ في عضدهم فعادوا أدراجهم وهكذا ضاع الامل برجوع العمران الى هذه البلدة التي ما برحت منذ اربعة عشر قرناً خاويةً على عروشها ولا يعلم الا الله ما اذا كان يرجع اليها في المستقبل ·

ويظهر انه كان في الاندرين كروم واسعة جيدة تنتج خموراً طيبة مشعشعة تحمل الى الاقطار البعيدة ومنها الحجاز فيتغنى بها شعراؤه أمثال عمرو بن كلثوم في معلقته · ولاغرو فارض الاندرين المستوية الرملية الكلسية الصفراء صالحة لانبات الكروم وغيرها اذا توفرت لها مياه الري في مستهل حياتها او جاءها في كل عام مطر يزيد مجموعه على ما يهطل في عهدنا في هذه البراري النائية · فهل كانت هذه الشروط متوفرة حينما دعا العمران ورغد العيش لاشادة تلك الكنائس والثكنات والحمامات والابراج والقصور والدور والخزانات والقنى ... واين غاضت تلك المياه وكيف قلّ تهطال الامطار ، أيكفي استئصال الحراج وتجريد الجبال من نضرتها لحدوث هذا الشح في سماء الشام وتوالي اعوام المحل التي صرنا نشهدها في عهدنا ؟ تلك اسئلة تحتاج الى كثير من التفكير لايتسع المجال لخوضها ·

ومن الغريب ان يخلط البستاني صاحب دائرة المعارف بين هذه الاندرين التي حقق ياقوت موقعها بجلاء وبين اندرين أخرى خارج حدود الشام الشمالية كانت في عهد الترك مركز قضاء يتبع ولاية حلب وبقيت الآن في حوزتهم وان ينسب بيت عمرو بن كلثوم اليها ·

ومما يجدر ذكره حول الاندرين اسرية — بكسر الالف والسين — وهي تبعد عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاندرين الى الشرق نحو ٣٥ كيلو متراً . وهي ايضاً قرية خراب ذكرها ياقوت انها « موضع بين خناصرة وسلمية وتسميه العامة سورية » وصوابه ان يقول اسرية وقد أخطأ ايضاً بظنه ان اسم سورية الذي كان يطلقه الروم على بلاد الشام خاص بهذه الخربة . وفي اسرية آبار يرتادها العربان في تشريقهم وتغريبهم واطلال لا يستهان بها وصفها مونمارشه في الدليل الازرق قائلاً : اسرية واسمها القديم (Seriane) تشرف على الطريق الآخذة من الرصافة الى سلمية . وليس ادل على مقدرة البشر على عمران بادية الشام من وجود المعبد الروماني الجميل الموجود بين خرائب اسرية . فقد قام هذا المعبد فوق نشز طمرت تحته الانقاض المركومة لهذه البلدة ، ففي جداره الشرقي باب عريض عال غاية في الزخرف له افريز ذو زهور وزوافر على طرفي الاسكفة وفوق الباب قوس واسعة وهي مزخرفة ايضاً . وفي كل من اطراف المدخل بناء مربع يشبه البرج ، فالذي على اليمين يحوي درجاً حلزونياً يصل الى سقف المعبد ، والجدران الجانبية القوية في المعبد دعمت في الخارج بعضائد . وطراز هذه المباني وزخارفها تدل على انها بنيت في القرن الثالث للميلاد ايام كانت بعلبك في سؤددها اه . وثمة في شمالي اسرية بينها وبين جبل الشُبيث الذي يناوح جبل الاحص عين تدعى عين الزرقاء وبالقرب منها الحمام ، وقد ذكرهما ياقوت قائلاً : الزرقاء بين خناصرة وسورية (وصوابه ان يقول اسرية ولعل ذلك من خطأ الناسخ) من اعمال حلب وسلمية وهي ركية عظيمة اذا وردها جميع العرب كفتهم وبالقرب منها موضع يقال له الحمام وهي حمة حارة الماء اه .

« للبحث صلة » . وصفي زكريا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٩ —

حدثني ابي قال كان اولُ شيءٍ قلدته القضاءَ بعسكر مكرم وتستر وجنديسابور والسوس واعمال ذلك من قِبَل القاضي ابي جعفر احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي وكنت في السنة الثانية (١) والثلاثين من عمري وذلك في شهور احدى عشرة وثلاثمائة لان مولدي في ذي الحجة من سنة ثمان وسبعين ومائتين فلما سلم اليَّ ابي جعفر العهد وصاني بتقوى الله عزَّ وجل وباشياء من امور العمل وسياسة في الدنيا والدين وبامر جاريه ينجزه من العامل هناك لانه كان مسبباً عليه فودعته ونهضت ·فقال اجلس فقدأنسيت مهماً فجلست فقال انك شاب وفضلك تام وعملك وافر وانك سترد على قوم فيهم شر وسيحسدونك على فضلك أو يطلبون معايبك اذا حكمت عليهم بالحق فلا يجدوا طريقاً الى الغض منك الا بنسبتك الى الحداثة وقلة حنكتها ولن تعدم منهم ذلك فان صدقت تحققوا ما يريدون والكذب لا يجوز فاياك

(١) الصواب : الثالثة ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان تخبر بسنك على حقيقتها ولكن اذا سئلت عنها فقل دون الاربعين سنة فلو كانت عشرين أو أقل لكنت صادقاً في فرعك الى الاربعين ستر (١) عليك لانها الاشد(٢) وحد المتكهل والخنكة فان بليت بمن يطول معك فيقول دون الاربعين بكم ؟ فقل لست اذكر وابق (٣) انك ليس تخبر ليقطع الخطاب (٤) ويقع للسائل انك تامن (٥) حقيقة سنك قال فخرجت . واتفق ان شعرة واحدة ابيضت في لحيتي في مسافة الطريق فلما دخلت الأهواز تعملت لاخراجها بالمشط الى حيث يلحقها النظر تجملاً بها واستقبلني محمد بن جعفر ابن معدان الشاهد وكان يخلف ابا جعفر على الوقوف وقد كاتبه باعظامي وتلقّي فجاءني بمركوب الى الشط وركبته الى دار اتخذت لي وكان يغشاني في كل يوم فلما أردت الخروج الى عملي قال لي قد هالني ما رأيته من فضل القاضي أيده الله فكم سنوه فذكرت وصية ابي (٦) فقلت دون الاربعين سنة فقال دونها بكم فقلت لست اذكر فلم يشك اني ناس لتحققها فأمسك عني وهذا ضد مانشاهده الآن . فاني قد رأيت ببغداد قاضيين هاشميين خطيبين شاهدين احدهما أجلّ وأنبه واليهما (٧) أعمال جليلة واحدهما قد تقلد من جهة الخليفة جلائل الاعمال ووهّل (٨) نفسه لقضاء القضاة وخطب ذلك فما تم له وهما يخضبان لحيتيهما ظاهراً بالسواد واحدهما ترك ذلك قبل موته بسنين وهو

(١) لعله : فزعك الى الاربعين ستراً عليك .

(٢) راجع كتاب الاضداد لمحمد بن بشار الانباري ص١٤٤ (طبع ليدن) .

(٣) لعله سقط : على . (٤) الاصل : الحصاب . (٥) كذا بالاصل : والصواب ناسٍ . (٦) الصواب : ابي جعفر . (٧) لعل الصواب : اليه (٨) يريد : أهّل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الادون محلاً والآخر باقٍ مقيم على الخضاب الى الآن ونسأل الله ستراً جميلاً فان الخضاب وان كانت فيه روايات فانما يعذر فيه الجند والكتاب ومن لا يتصدى للحكم والشهادة فاما من نصب نفسه فلا عذر له فيه .

* * *

حدثني ابو القاسم عبد الرحيم بن جعفر الفقيه المعروف بابن السماك السيرافي قال كنت بحضرة ابي بكر احمد بن علي بن شاهويه القاضي بارّجان فتقدم اليه نفسان ادّعى احدهما على الآخر الف درهم فسأله فأنكر فقال المدعي لك بينة فقال لا ولكن استحلفه لي فقال للمدعى عليه أتحلف ؟ قال فقد كان قدمني الى القاضي الذي كان قبلك واستحلفني له على هذه الدراهم فقال المدعي ماتقول فقال نعم قد كان حلف لي كاذباً فقال انصرف فلا مطالبة لك عليه فانصرفا ثم التفت اليّ والى ابي الوعد الفقيه على مذهبنا وجماعة من الفقهاء كانوا قعوداً يعني مذهب ابي حنيفة (١) والجماعة حنفيون فقال أرأيتم ان ادعى هذا المدعي الألف انه قد حلفني (٢) المدعى عليه واني ماحلفته وأردنا ان نعرض اليمين عليه فذكر انه قد حلف على هذا المعنى ولم يزل ذلك يتردد بينهما في دعوى كل واحد على صاحبه كيف نفصل الحكم بينهما؟ قال ففكرنا جميعاً ساعة ثم جرى خوض لم يتقرر له معنى ولم يتضح لنا وجه الفتوى فقلت له ان رأى القاضي ان يذكر ماعنده فقال : حكى لنا القاضي ابو طاهر الدباس عن

(١) الصواب : على مذهبنا يعني مذهب ابي حنيفة وجماعة من الفقهاء الخ .

(٢) كذا بالاصل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابي حازم القاضي في هذه المسألة بعينها انه قال : للحاكم ان يستحلف الذي ادعيتْ عليه الالف في الابتداء ان هذا المدعي عليك الالف درهم لم يستحلفك عليها عند حاكم آخر ٠

* * *

سئل بعض غلمان ابي الحسن الكرخي عن الدليل على تحليل النبيذ التمري المعمول بالداذي الشديد المسكر فقال قد وجدت الله تعالى لما وعدنا بالجنة ووصفها لنا أباح لنا في الدنيا من جنس ماوعدنا به فيها وحلل لنا تأويلها (١) لنعرف بذلك فضل ماوعدنا به في الجنة ودوام ذلك وانقطاع هذا فلما وعدنا بالخمر في الجنة وقد حرمها علينا في الدنيا ولا طريق الى علم (٢) لنحرص على الاعمال التي توجب دخول الجنة وشربها فيها فوجب ان يبيح لنا في الدنيا شيئاً من جنسها كهذا نستدل به على طيبها فكان النبيذ ٠

وكان قد سئل عن مثل هذا مرة أخرى فقال : ان الله تعالى خلق المنشور الذي ليس بخيّري (٣) ٠ والله لا يخلق ما لا فائدة فيه وليس فيما عدا الخيري من المنشور فائدة الا ان يشرب عليه النبيذ وكان يخرج هذا القول مخرج الجدل لمن يستضعفه ومخرج النزول (٤) مع أهل العلم ٠ وأصحاب الحديث والحفاظ يقولون انه لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث في تحريم النبيذ ولا في تحليله فذهب ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي في

(١) لم أجد لهذه الكلمة معنىً مناسباً ٠ (٢) لعله سقط : فضلها ٠
(٣) الخيّري هو المنشور الاصفر ٠ (٤) لعله الهزل ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مسألة أملاها في تحليل النبيذ مشهورة الى ان الاصل في الاشياء انها على الإباحة الى ان يثبت حظرها فلما كان العقل لا يدل على تحريم النبيذ ولم ينقطع العذر عن تحريمه(١) وجب ان يكون على الاصل في الإباحة ثم نصر ذلك باشياء أوردها واعترض أدلّة المحرّمين له وبيّن فسادها وأورد زيادات على نفسه وانفصل عنها بما يطول شرحه ويخرج عما نحن فيه ان أوردناه ٠

* * *

حضرت مجلس ابي محمد المهلبي و كانت العامة ببغداد قد هاجت في بعض ايام وزارته وعظمت الفتنة وقبض على جماعة من العيارين وحملة السكاكين وجعلهم في زوارق مطبقة وحملهم الى بيروذ وحبسهم هناك فاستهانوا بالقصة وكشف أمرهم و كثر كلام القصّاص في الجوامع ورؤساء الصوفية فخاف على تجديد الفتنة فقبض على خلق منهم وحبسهم وأحضر ابا السائب القاضي(٢) القضاة اذذاك وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء و كنت فيهم لمناظرتهم وأصحاب الشرط لنأمن مضرتهم اذا قامت الحجج عليهم فاتفق ان بديء برجل من رؤساء الصوفية يعرف بابي اسحاق بن ثابت ينزل بباب الشام احد الربانين(٣) عند اصحابه فقال له بلغني انك تقول في دعائك « يا واحدي بالتحقيق ياجاري اللصيق» فمن لا يعلم ان الله لا يجوز (ان) يوصف بانه لصيق على الحقيقة (فمن وصفه بذلك) فهو كافر لان الملاصقة من صفات الاجسام

(١) لعله : تحليله ٠ (٢) كذا بالاصل ٠
(٣) الصواب : الربانيين ٠ وليراجع كشف المحجوب للهجويري ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن جعل الله جسماً كفر فمن يكون محله في العلم هذا يتكلم على الناس وقل لي مامعنى مابلغني عنك انك تقول في جملة كلامك « أخذتني مني ولم تبقني عليّ فها انا بلا انا » حصلنا على انكم تهذوا (١) وتوهموا الناس على انكم ربانين وتستدعونهم بالجهالات الى الضلالات وتفتنون حضرة السلطان عليه . السياطَ يا غلام ، فلم يزل يسأل في أمره حتى كفّ عنه و كتب عليه ان لا يتكلم على الناس ولا يحلق حلقة .

* * *

كان يجيء بالبصرة الى معلمي معلم يكنى ابا الحسن و كنى نفسه بابي البيان فسمعت معلمي يعاتبه على ذلك ويقول ياهذا غيرت كنيتك وهي مقبولة و كنية امير المؤمنين؟ فقال له ياباجعفر كم رأيتَ في عمرك من كنيته ابو الحسن؟ قال لاأحصي، قال فهل رأيت ابا البيان غيري (قال لا) ، قال خذ بيدك هذه واحدة من فضائلها ، ومن ذلك اني اشتهر بها ولا أُشارَك فيها ، ومن فضائلها يسقط عني التلقيب وان يشتغل الناس بها عما سوى ذلك من عيوبي .

ورأيته يوماً عند معلمي في مكتبي وقد حضر وقتاً كان المعلم يأخذ علينا (٢) الشعر و كان عادته ان يقيم الصبيان صفاً فيطالبهم بانشاد القصيدة فأقامهم في تلك العشية وقد حضر ابو البيان فقال له ياباجعفر ماهذا القريض؟ قال و كيف؟ قال ان لي عادة في سياسة الصبيان لاأُرخص لهم فيها . ان سألتني

(١) يظهر ان الوزير كلهم بلغة العامة ولذلك لم نغير شيئاً من كلامه .
(٢) لعله سقط : فيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

علمتك إياها فقال افعل قال تقدّم الى صبيانك يمتثلوا أمري لأريك ذلك فقال لهم ابوجعفر انظروا مايأمركم به ابوالبيان فافعلوه · فأقبل عليهم يخاطبهم في كلامه فقال: لكم أقول أيها الصبيان · ولمن يجاوركم من الغلمان · الى حدود الأحداث والفتيان · اسمعوا وعوا فمن خالف بعد البرهان · أنزلت به غليظ الامتحان · تراصّوا في صفوفكم · والزقوا أقدامكم وأقيموا ألواحكم · واقبلوا عليّ بالحاظكم · واحضروا فيما تنشدون قلوبكم · وارفعوا أصواتكم · وقولوا قول صبي واحد :

(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلي)

وصاح بالشعر مطرّبًا فما ملك الصبيان الضحك وضحك معلمي معهم فقال ياباجعفر التراب والجندل بفيك وعلى رأسك والويل والويح محيطان بك أتطمع ان تعلمهم بهذه الهيبة ؟ حقت بك اللعنة والخيبة · أسبابك أفسدت · أمن قدري بضحكك وضعت ؟ ام سِتْرَك عند هؤلاء الانكاد هتكت ؟ اشهد الله لا أكلمك او تعتذر · وأخذ ابوجعفر يداريه ويعتذر اليه حتى رضي لوقته وكان يقول الشعر وينشده اباجعفر دائمًا وما حفظت منه شيئًا ولولا ان هذه الألفاظ تعاودناها في المكتب ونحن صبيان لم تعلق بحفظي فلما ترعرعت كتبتها في موضع وانسيتها ثم نقلتها منه الى هذا الموضع وبقيت عندي الى الآن ·

وسمعت وانا في الكتّاب انه جاء الى معلمي فاسلم اليه ابنه فقال له لِمَ نقلته من عند المعلم الاول ؟ قال لانني جزت به يومًا والصبيان يتشاتمون وهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لايمنعهم باكثر من ان يقول قيدوا الفاظكم خزى الله حرماتكم لاتتشاتمون يابني البُظر واذا هو ليس يمنعهم من سوء الأدب ويدخل في جملة المشتومين فنقلته .

* * *

حدثني عبد الله بن عمر بن الحارث قال كان ابي يكتب الى (١) الرُقى على اصل وقع اليه في ذلك و كان مما يكتبه رقية للمرأة اذا خافت ان تسقط ولدها وتعلّق في وسطها فلا تسقط . قال وجربنا عليه ذلك على طول السنين فلم يخطئ . يكتب بسم الله الرحمن الرحيم (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا الآية) (وما قدروا الله حق قدره الآية) (ونفخ في الصور فصعق من في السموات والارض الا من شاء الله الى آخر السورة) (ومثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ الآية) قال و كان يكتب رقية الآبق ما رأيتها أخلفت وهي ان تأخذ رقًا فتكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم : (وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه — الى ننجي المؤمنين . أو كظلماتٍ في بحرٍ لجّيٍّ يغشاه موج الى آخر قوله تعالى فما له من نور . فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوتُ وهو مليم) أدركه بآيات الله يرده رب السماوات والارض فاجعل مابينهما أضيق على فلان — يعني الآبق — من مسك حمل حتى نمكن منه فانه من فضلك وعطائك . ويدفن الرق في عتبة باب . قال و كان يكتب للرعاف في ورقة ويعلقه على جبهة المرعوف . بسم الله الرحمن الرحيم : (وقيل

(١) لعله : آي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يا أَرض ابلعي ماءَكِ ويا سماءُ أَقلعي) الى قوله تعالى : (للقوم الظالمين . واذا ذكرتَ ربك في القرآن وحدَهُ ولَّوا على أَدبارهم نفوراً) وكان يكتب للخُراج على ورقة سلق وتوضع على الخُراج (ما أَصابك من حسنة فمن الله الآية) .

« للبحث صلة »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آراء وافكار

اثنا عشر كوكبًا

رأيت في المحاضرة التي القاها الاستاذ المغربي باسم (اثنا عشر كوكبًا) مواضع للتعليق احببت ذكرها هنا قال :

الكوكب الخامس بتوران الحلبية . والصواب كما هو في نسخة مخطوطة عندي من درالحبب لابن الحنبلي — بوران . وقد ذكر لها ابن الحنبلي بعد البيتين اللذين ذكرهما الاستاذ بيتين آخرين وهما :

فقدت اخي وكان اخي وظهري ... على الحدثان سماعًا لأمري
فان عجزت عن الندب الغواني ... بعثت الدمع نظماً غير نثر

وقال قبل ذلك : ومن شعرها ترثي اخويها العفيف الحسين والمحب عبد الباسط :

يابين بالغت في الاشجان والمحن ... وجلت فينا بحد ليس بالحسن
اضرمت نارفوآدي والحشاء معًا ... أوليتني في الورى حزنًا على حزن
اغلقت باب علوم ثم باب هدى ... أخذت مني محب الدين من وطني
قد مات في غربة والشام مسكنه ... ياليتني قبل ذا ادرجت في كفن
وقد فقدت عفيف الدين واسفي ... فليت بعد عفيف الدين لم اكن
قد كان موت محب الدين نائبة ... واطول حزني لذاك المنظر الحسن

الى ان قالت :

واطول حزني وواوجدي وواسفي ... فيم الاقامة بالشهباء لاسكني

ولعل هذه الأبيات لم يذكرها النجم الغزي في الكواكب السائرة ولذا لم ينقلها الاستاذ المغربي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال بعد ذلك الكوكب السابع فاطمة بنت قزيمان . والصواب قريمزان كما في التاريخ المتقدم وقوله كانت رئيسة للزاويتين العادلية والدجاجية الصواب الزجاجية بالزاي وهذه كانت مدرسة للشافعية وهي اول مدرسة بنيت في حلب وقد تكلمت عليها في تاريخي (اعلام النبلاء) وسميت بذلك لانها كانت في سوق الزجاجيين .

واتخذت هذه المدرسة خانًا يعرف بخان (ابن مطاف) وشهرته بين الناس بخان الطاف وهو في محلة الجلوم واذا دخلت الى هذا الخان ونظرت الى يمينك بعيد الباب تتراءى لك آثار المدرسة .

ثم قال الكوكب الثاني عشر هو عائشة الباعونية الدمشقية وقد ذكر فيها ان عائشة لما وصلت الى القاهرة مع ابي الثناء محمود انزلها في داره ثم قدمها الى شيخ الادب السيد الشريف العباسي فأعجب بها وبعث اليها بقصيدة من بديع نظمه فاجابته بقصيدة مطلعها وافت تترجم الخ البيت .

وهنا نكتة لطيفة لعل النجم الغزي اغفلها ولذا لم يذكرها الاستاذ المغربي وهي تستفاد من عبارة الحنبلي في درالحبب وهي ان السيدة المشار اليها لما مدحت ابا الثناء بقصيدة مطلعها :

روى البحر اخبار العطا عن نداكم ونشر الصبا عن مستطاب ثناكم

عرضها على شيخ الادباء في زمانه وامام البلغاء في اوانه الحسيب النسيب الزين عبد الرحيم ابن عبد الرحمن العباسي القاهري احد شيوخنا بالاجازة فبعث اليها بقصيدة من بديع نظمه طالبًا ان تجيب في الحال بلسان الارتجال فأنشدت في الحال قاصدة للأمتثال قصيدة مطلعها :

وافت تترجم عن حبر هو البحر بديعة زانها مع حسنها الظفر

ثم بعث اليها اخرى ملغزاً فيها فقال :

قل لمن بالقريض بذ الفحولا وانثنى عن قصورهم مستطيلا
وارانا عرائس الثغر تجلى بمعان اضحى علاها جليلا
رافلات من زاهيات المعاني في مروط تجر فيها الذيولا
مسفرات عن حسن معنى بديع من سناه تبغي البدور الافولا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتود الرياض ان لو اعيرت من افانين وشيها اكليلا
كل طرف اذا تراجع منها عاد من حسنه حسيراً كليلا
واذا ما ظبا اللواحظ غازل ن ظباها اولت شباها فلولا
ماسمى شيء حروفه عاطلات وهوفي الدهر لايرى تعطيلا
ولع القلب دائماً بثلاث فيه لم نستطع اليه وصولا
ولباقيه في الخواطر ود لم تجد للسلو عنه سبيلا
واذا الحذف جال في طرفيه رادف اسماً يحبوك منه جميلا
واذا ما استقل ثان بتاليه حباه منه ثواباً جزيلا
واذا ما قلبته دون ترتيـ ب ترى سؤدداً وقدراً نبيلا
واذا ما اعتبرته دون قلب لن يدانى مقامه تبجيلا
واذا ما عكست منه اخيراً لثلاث وجدت دوحاً ظليلا
وهووصف يخص ن قد تعالى عن زوال وان يلاقي مثيلا
واذا ما نقصته واحداً صـا ر لرتع الظليم شوطاً طويلا
مثل مافي العلا تصور فرداً من غدا بابه لعافٍ مقيلا
كاتب السر رقية الدهر تار يخ المعالي من قد سما تفضيلا
ذو السجايا التي تريك المزايا قد تعالت عن ان تعد عديلا
دام في ظل نعمة وشفاء لايرى الدهر عنهما تحويلا

فأجابته بقولها :

ياحبيباً قد حاز مجداً اثيلا وفخاراً بالمصطفى لن يحولا
واماماً فيما حوى لايجارى في علوم جرت له التفضيلا
جئتنا بالعجاب نظماً تحلى من لآلي البديع عقداً جميلا
سافراً عن وجوه معجز لغز كل فكر اضحى لديه كليلا
قد سمعنا وما سمعنا لمعنى لغزك الفائق البديع مثيلا
وعلى كل حال فهو محمو د صفات مكملاً تكميلا
راقنا واسم كاتب السر فيه زاده رونقاً فاضحى جميلا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سيداً كاملاً وجيهًا نبيهًا عالمًا عاملاً عطوفًا وصولا
زاده الله رفعة وحباه من جميل الهبات حظًا جزيلا
وحمى ذاته وابقي بقاه في سرور ونعمة لن تزولا
ماسرت نسمة وفاح اريج وزهاالروض بكرة واصيلا

ومدحها في قصيدة الجناب العالي عبد الرحيم العباسي فقال :

لهيهنك مجد الخ . ثم قال :

فياروضة العلم التي بان فضلها سقاك من الغيض البسيط مديد

هذا هو الصواب في الشطرة الثانية لا كما جاء في المحاضرة وهي فيه (وليس من الفضل السري مديد) وهذا لامعنى له ولا يلتئم مع ماقبله ومابعده فاجابته الباعونية تقول (ثساميت مرمى فاللحاق بعيد) الخ الابيات التي اوردها له الاستاذ المغربي وبعدها :

فيا علمًا في العلم اصبح مفرداً ومن هو في فن البديع وحيد
وفانيَ تأهيل لما لست اهله وقد شملتني بالوفاء سعود
تطولت احسانًا بعز لوانجلت لحسان لم يبرح لهن يعيد
ولوابصر المعمار ماقدتأسست عليه لأضحى للثناء يشيد
ولوشهد الوردي بهجة حسنها لشاهد عنها العجز وهو مجيد

هذا آخر ما أورده لها الحنبلي في تاريخه ولم يذكر تاريخ وفاتها وليس في ترجمتها فيه أكثر مما نقله الاستاذ المغربي عن الكواكب السائرة .

حلب : محمد راغب الطباخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدرر الكامنة

« في أعيان المائة الثامنة »

كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة هو لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ١٤٤٨ م وقد أخذ المستشرق الالماني الاستاذ فريتس كرنكو — او سالم الكرنكوي كما يوقع على رسائله لي باللغة العربية — بطبعه في الهند .

وقد استعان الاستاذ على طبعه باصول اربعة مخطوطة لهذا الكتاب الأصل الاول نسخة قديمة له تشتمل على الجزء الاول بتمامه ومختصر الجزء الثاني[1] وقد كُتب الأول في حياة المؤلف وفيه تصحيحات بخطه .

والأصل الثاني نسخة قديمة محفوظة في خزانة المتحفة البريطانية في مجلدين هي الاصل الذي نسخت عنه نسخة دار الكتب المصرية .

والاصل الثالث نسخة مكتبة ڤينا بالنمسة حديثة العهد كثيرة الخطأ .

والأصل الرابع نسخة في مجلدين في خزانة دار حكومة الهند تحتوي الجلد الاول من النسختين الاوليين وهذه ايضاً كثيرة الخطأ والمتتبع لهذه الاوصاف يرى ان هذه الأصول الاربعة فيها بعض النقص سواء بوجود اجزاء مختصرة بينها أو بكثرة اغلاطها .

وقد كان يجدر بالاستاذ الناشر ان يضيف الى الاصول المخطوطة نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق لأن هذه النسخة على الرغم من اهمال نقطها ورداءة خطها هي من الاصول التي يصح الاستناد اليها فقد وصف الاستاذ محمد كرد علي في مجلته المقتبس[2] تلك النسخة ونقل عنها بعض التراجم وذكر انها بخط ابراهيم البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ ١٤٨٠ م وهو من معاصري المؤلف ومن الثقات الذين يعول عليهم .

وذكر ذلك ايضاً في كتابه الممتع خطط الشام[3]

---

(١) في كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون طبع القسطنطينية جزء ١ ص ٤٨٩ ان جلال الدين السيوطي اختصر كتاب الدرر الكامنة فلعل هذا الجزء المختصر له .

(٢) مجلة المقتبس م ٥ ص ٦٢٦ .

(٣) خطط الشام ج ٦ ص ٢٠٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومما يهم الاطلاع عليه نقله عبارة البقاعي التي اختتم بها نسخته اذ قال :

« قلت وكانت كتابتي فيه للنسخة الاولى في ربيع الآخر سنة ٨٥٥ وعسر عليّ قراءة كثير من النظم الذي في التراجم وغير ذلك ثم نقلته كذلك الى هنا والمرجو من فضل الله تعالى تحرير ذلك ومقابلته جميعه على الاصل المنقول منه ان تيسر أو يحرر ذلك من اصوله ان شاء الله تعالى وكان فراغي من هذه في ١٧ شوال سنة ٨٥٩ بمنزلي بحارة بهاء الدين في القاهرة اه »

ورداءة خط النسخة الدمشقية خدعت بعض العلماء فظنوا انها نسخة المؤلف فقد ذكر الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في مجلة المقتطف [1] ذلك كما ذكره لي الاستاذ سعيد الكرمي .

اما ذيل الدرر الكامنة الذي عرض بذكره المؤلف وقال انه ألحق فيه الى سنة ٨٣٧ ونقل عبارته الاستاذ كرنكو عن نسخة خزانة المتحفة البريطانية فمسودته التي بخط المؤلف في الخزانة التيمورية التي اضيفت الى دار الكتب المصرية في القاهرة .

ومن هذا الذيل نسخة في خزانة كتب شيخ الاسلام عارف حكمة في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام .

وانت ترى ان النسخة الدمشقية من الاصول التي تستحق الاهتمام لانها منسوخة بقلم احد معاصري المؤلف كما ان الذيل الموجود بالقاهرة هو مسودة المؤلف فلعل الناشر المجد العامل يحاول الانتفاع بهذين الاصلين لان الايدي لم تتداول الكتاب المطبوع الى الآن على الرغم من مباشرة طبعه منذ سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م .

عبد الله مخلص

(١) المقتطف م ٥٦ ص ٢١٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطبوعات حديثة

—((●))—

كتاب الاكتفاء

« في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء »

للامام ابي الربيع سليمان بن سالم المشهور بالكلاعي البلنسي المتوفى سنة ٦٣٤ هـ

الجزء الاول ص ٤٠٤ . طبع بعناية الشيخ هنري ماسه بمطبعة جول كربونل بالجزائر

طبعت كلية الادب بجامعة الجزائر بضعة مجلدات عربية قديمة فبعناية العلامة الشيخ محمد ابن ابي شنب نشرت ديوان علقمة بن عبده مع شرح الامام الشنتمري وديوان عروة بن الورد مع شرح ابن السكيت والجمل للزجاجي . وبعناية الشيخ هنري پيريس نشرت في جزءين ديوان كُثيّر عزة مع شرح مختار . وبعناية الاستاذ الشيخ هنري ماسه احيت اليوم هذا الكتاب الجليل وقد اعتمد في الطبع على نسختين في المكتبة الدولية بالجزائر وعارضه على نسختين نفيستين في بعض المكاتب الخصوصية وقدم له مقدمة بالعربية مع ترجمة المؤلف من مختلف المصادر . واعتمد المؤلف الاول في كتابه على الكتب المشهورة مثل سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد ولكنه نقل نقولاً كثيرة عن « مثل كتاب الواقدي و كتاب الزبير بن ابي بكر القاضي وتاريخ ابي بكر بن ابي خيثمة وميز رحمه الله بين الغث والسمين » واستوعب هذا الجزء نسب رسول الله واولية بيت الله الحرام ومن تولى بناءه وعرض لذكر الحبشة ودخولهم اليمن ولحفر عبد المطلب زمزم وبنيان قريش الكعبة مع ذكر ما احدثوه من المناسك وما حفظ عن الاحبار والرهبان والكهان من امر رسول الله ثم فصل في مبعثه وفي إسلام حمزة والهجرة الى الحبشة . وطريقة المؤلف في تأليفه كطريقة ابن سعد وابن هشام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو من اكبر بلغاء الاندلس على ماتجلى في ترجمته ، ومن مطالعة كتابه المفيد جداً في بابه . وقد عني زميلنا الناشر بتصحيحه حتى جاء من اهم المطبوعات التي عُني علماء المشرقيات باحيائها من كتبنا .

م . ك

ضحى الاسلام

« تأليف السيد احمد امين الجزء الاول طبع لجنة التأليف والنشر بالقاهرة »
« سنة ١٣٥١ — ١٩٣٣ ص ٤٠٨ »

نشر الاستاذ صاحب هذا التأليف « فجر الاسلام » بالامس واليوم ينشر « ضحى الاسلام » وهو في الحياة الاجتماعية والثقافات المختلفة في العصر العباسي الاول اي الى خلافة الواثق وقدم له الاستاذ الدكتور طه حسين مقدمة أبانت الغرض منه ودلت على حسناته الكثيرة . وقد قارن فيه بين العهد الأموي والعهد العباسي في العلم وبحث في سكان المملكة الاسلامية وعناصرها ومزاياها واهوائها ومختلف آدابها ، وفي ميزات المولدين والتوليد العقلي والتوحيد بين العناصر والصراع بين العرب والموالي وتاريخ العصبيات والنزعات الشعوبية والرقيق وأثره ، وحياة اللهو وحياة الجد والترف وتاريخه والزهد واسبابه ، والزندقة والايمان ، والثقافة الفارسية وانتشارها في العرب والثقافة الهندية والثقافة اليونانية الرومانية ، ومادخل في المجتمع العربي من آثارها بواسطة الكتب المترجمة وغيرها وماصار اليه العرب بالثقافة العربية وادبها البدوي والحضري والجاهلي والاسلامي ، ومابقي من الثقافات الدينية اليهودية والنصرانية في المملكة الاسلامية ، وكيف امتزجت الثقافات ومن هم المقدمون من المؤلفين والكاتبين الذين يعزى اليهم الفضل الاول في هذا التطور .

هذه أمهات ابواب الكتاب . وقد جوّد المؤلف في كل بحث منه ، فكان اماماً في استقرائه واستنتاجه ، واماماً في جميل أسلوبه وحسن مأتاه . وقل جداً في تأليف المعاصرين ما كتب له الايغال مع الاجادة الى هذا المدى البعيد . ذلك ان المؤلف قد خُصَّ بالصبر على الاقتباس من مصنفات القدماء والمحدثين ، وعرف بالرفق في أحكامه على الموافق والمخالف ، وقلّ من يضبط نفسه مثله وندر من رزق مثله اعتدال دم عند مواجهة المصاعب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التاريخية والاجتماعية ٠ واذا قلنا ان ضحى الاسلام كفجر الاسلام لاعيب فيهما من حيث الوضع وعموم النفع لانكون الى الغلو ٠ لا جرم ان جمهور المتأدبين سيقعون في كتابي الاستاذ احمد امين على أنفع تأليف جمع العلم القديم والأدب الجديد فعدّ من المبرزين بين حملة الاقلام في هذا الموضوع الطريف ٠ م ٠ ك

يقظة الاسلام والعرب

Eugène Jung: Le réveil de l'Islam et des Arabes 1933

مؤلف هذا الكتاب مشهور بابحاثه السياسية في الاسلام والمسلمين ، وهذا آخر كتبه تكلم فيه على المؤتمر الاسلامي ومقرراته في القدس وعلى المسلمين في شمالي افريقية وعلى المطامع الاستعمارية وعلى المشاكل التي عرضت للاستعمار وكاد يتأتى اتقاؤها لو جرى المستعمرون على قواعد الانصاف ٠ وللمؤلف صلات حب ووحدة فكر مع رجال الاسلام ولا سيما مع الاستاذين محمود بك سالم والامير شكيب ارسلان وقد استشهد باقوالهما ودافع عن منازعهما ومنازع زعماء المسلمين خير دفاع ، ومما قاله ان عدد المسلمين في اوربا يبلغ ثلاثين مليوناً منهم عشرون في روسيا الاوربية (٢٦ مليوناً في روسيا الآسيوية) ٠ ومليونان ونصف مليون في يوغوسلافيا ونصف مليون في بلغاريا و ٩٠٠ الف في البانيا و ١٠٠ الف في اليونان و ٦٠٠ الف في رومانيا و ٢٠ الفاً في بولونيا وليتوانيا و ٥٠٠ الف في المجر أو هنغاريا ، ومما قاله وهو دليل على إعجابه بالمدنية الاسلامية ان العرب على ما يظهر جد محقوقين ان كانوا كلهم مسلمين الا قليلاً وبهذا السبب نالهم من الاضطهاد الحقيقي ظاهراً وباطناً ما نالهم ، على حين كان لهم ماضٍ يحق لهم ان يُعجبوا به : ماضٍ حربي اولاً ثم ماضٍ في العلم العالي والصنائع والرفاهية مما اتخذته اوربا في القرون الوسطى وكانت نصف متوحشة — دعامة لقيام المدنية الحديثة ٠ ولعله يقال ان الاوربيين لا يستطيعون ان يغفروا لاساتذتنا غلطهم فيما لقنوهم من المعارف ٠ وقال ايضاً : ليت شعري هل القوة الاجتماعية في الاسلام هي التي تُقلِقُ اوربا ودولها العظمى ؟ ربما كان ذلك لان تعاليم الاسلام حرة فهي لا تقول بالطبقات والامتيازات ولا تدعو الى الفتح على ما كان من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكنائس النصرانية وليس في مطاويها شيء من الرياء السياسي الذي تنقاد اليه بعض الحكومات ، وشعار المسلمين الجميل تقريب القلوب والأرواح وهي مرحلة انتقال الى السلام العام وهذا ما يراد ولا شك القضاء عليه وما مصير من يعمل ذلك الا الخيبة اه .

فنثني على المؤلف بما هو أهله لعلمه وتجاربه وجميل أدبه ولطيف نصحه لنفع الناس وأهل الاسلام وأهل المدنية الحديثة خاصة .

م . ك

التربية عند العرب

« تأليف السيد خليل طوطح طبع في المطبعة التجارية بالقدس ص ١٧٥ »

المؤلف من رجال التربية والتعليم في فلسطين قسم كتابه الى فصول تكلم فيها على المدارس عند العرب فبدأ بنشأة القراءة والكتابة في الاسلام وتعليم القرآن والتعليم في العصرين الأموي والعباسي وأنواع المعاهد العلمية والكتاتيب والجوامع ومجالس العلم والأدب وبيوت الحكمة في بغداد والفسطاط . وفاته الكلام على دار العلم ودار الحكمة في طرابلس وقد جددها جلال الملك القاضي ابن عمار (٤٧٢ هـ) فنشرت العلوم والآداب وأصبحت بها طرابلس مباءة علم ودرس وجهز هذه الجامعة بمائة الف مجلد بحيث أصبحت الفيحاء أول بلدة علمية في الشام على ماقاله الاستاذ فان برشم (خطط الشام مجلد ٤ ص ٣٨) وتكلم على المدارس الجامعة كالنظامية في بغداد وزعم انها كانت لنشر مذهب السُنَّة فقط ولم يتكلم على المستنصرية ، وأفاض في الكلام على مناهج التعليم والأوقاف والمعلمين وتراتيبهم وأساليب تدريسهم وفلسفة التربية عندهم وكتب التربية وعدد ما عرفه منها وأدمج فيها كتاب الدارس لابن حجي ومختصره للنعيمي وكان الأولى ان يعدا في كتب الخطط والبلدان وذكر عيوب التربية وحسناتها عند العرب وأورد قائمة غير تامة من أسماء المدارس في بغداد والقاهرة ودمشق والقدس وغيرها . ويا حبذا لو رجع الى ما نشرناه من أسمائها في الجزء السادس من خطط الشام فانها كانت أكثر تحقيقاً رجعنا في تصحيحها الى العارفين وأخذنا عن أمهات معتبرة فيها شيء كثير مما يدخل في تاريخ التربية العربية . والكتاب مكتوب باسلوب طلي جلي رجع المؤلف في وضعه الى الأمهات العربية وبعض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المصادر الافرنجية ٠ فله الشكر على هذه التحفة الأدبية ونهنئه بتوفيقه الى وضع ما وضع ونرجو له ان يظلّ يتحف العلم بهذه النفثات الطيبة ٠ م ٠ ك

منتهى آمال الخطباء

« تأليف الشيخ مصطفى أبوسيف الحمامي طبع بمصر سنة ١٣٥١ هـ »

هو ديوان خطب كبير ، مؤلف من نيف ومائتي خطبة مشكولة ، مشتمل على أكثر من خمسمائة صفحة ، استهله مؤلفه بمقدمة مفيدة في موضوعه ، ولكنه التزم السجع وراعى الفواصل في جميع خطبه ، فكل واحدة منهن مركبة من ثلاث فقرات متماثلة في الحرف الأخير ، والفقرة الرابعة لها فاصلة أخرى متماثلة في الحرف الأخير ايضاً ؛ على انه سليم من التصلف ، خال من التكرار في غير فائدة ، فهو من نوع السجع البديعي المقبول ، وخطبه جامعة بين القديم والحديث ٠

ولم يسلم هذا الديوان — على حسنه — من هنات رأينا ان نشير الى بعضها كقوله (ص٢) ليس فقط باللسان ، وكرر هذا الأسلوب ، وصوابه تأخير كلمة (فقط) فيها كلها ٠ وكقوله (ص ١٠٤) : فضل الناس على بعضهم وكرر هذا التعبير ايضاً ، والصواب ان يقول : بعضهم على بعض وكذا الباقي ٠

ومن الهفوات الشديدة ماذكره في الخطبة (٦٧) من نداء الاولياء في الشدائد قال : « ولا لوم عليك اذا ناديت اي ولي عند حلول كارثة من كوارث الأزمان » وكان يجب على المؤلف ان يعمل بما أورده في ديوانه من حديث « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي » الخ ٠ وقد تناظر الصحابة بعد وفاة النبي (ص) في أمر الخلافة وفي جمع القرآن ، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل وصفين والنهروان والحرة ، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستغيثوا به في هذه الشدائد ، ولا استفتوه في شيء منها ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبداهة ، فيجب رد ما يتجدد من الوقائع والحوادث الى الوحي المنزل ، وما عرف من سنن الصدر الاول للاسلام ٠ محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هندسة العمارة

« للسيد عبد المنعم عرفة الجزء الاول طبع بالمطبعة العصرية بالقاهرة »

يغلب على الظن ان كتاب هندسة العمارة لمؤلفه الاستاذ عبد المنعم عرفة هو الاول من نوعه في اللغة العربية وقد قسمه الى اربعة أقسام عدد بصورة واضحة أنواع مواد البناء والصفات والمميزات التي يتطلبها الفن المعماري كما عدد الشرائط الواجب اتباعها في استعمال هذه المواد . وقد عين المؤلف في بحث تصميم الدور الحد الأدنى للأبعاد الممكنة للمنافع المنزلية كالمطبخ والحمامات الخ ... وعني ايضاً بوضع بعض مصورات لمنازل متنوعة مؤلفة من دور الى ثلاثة أدوار ومنها (الڤيلات) .

أما مايتعلق بالمواد الأولية فمنها ماهو عام مثل الاسمنت وغيره ومنها ماهو خاص بالقطر المصري مثل أحجار المقالع المصرية وكذلك الشرائط فهي الشرائط العامة المتبعة في بلديات أغلب الحكومات ووزاراتها وهو ما يدعونه (بدفتر الشروط Cahier des charges) اما المقاسات والابعاد فقد وضع لها المؤلف الحد الادنى المتبع في البلاد الاوربية وهذا قليل بالنسبة لبلاد كمصر والشام . اما مصورات تصميم البناء فهي من الطراز الاوربي الحديث في مقطعها الأفقي وفي واجهاتها وهذا الطراز يلاقي الآن في بلادنا رواجاً لابأس به وكان من الأوفق ان يقدم لنا المؤلف في هذا الكتاب الوحيد في بابه (واجهات) من الطراز الشرقي ممزوجة بشيء من الطراز الحديث ليسعى لاحياء البناء الشرقي القديم وإعادة مجده الغابر .

دمشق : المهندس
مختار دياب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net